سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٢٧)

شرح منظومة الأحسائي

أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الأحسائي المالكي

(المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ)

الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

شرح منظومة الأحسائي

شرح

منظومة الأحسائي

بسم الله الرحمن الرحيم

ح مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المجلهم، سلمان جابر

شرح منظومة الاحسائي . / سلمان جابر المجلهم. - الرياض ،

١٤٤٠ هـ

.. ص؛... سم

ردمك: ٣-١-٩١١٨٢-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الاسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٠/٢٦٧١

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٢٦٧١

ردمك: ٣-١-٩١١٨٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

- الرئيسي - حولي - شارع المثنى - مجمع البدري
ص. ب: ١٠٧٥. الرمز البريدي ٣٢٠١١
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
- فرع حولي - شارع المثنى - تلفون: ٢٢٦١٥٠٤٦
- فرع المباركية - مقابل مسجد ابن بحر - ت: ٢٢٤٩٠٦٠٤
- فرع الفحيحيل البرج الأخضر شارع الدبوس - ت: ٢٥٤٥٦٠٦٩
- فرع المصاحف - حولي - مجمع البدري: ت: ٢٢٦٢٩٠٧٨
- فرع الرياض - المملكة العربية السعودية - التراث الذهبي ت: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨
الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩

E – mail: z. zahby74@yahoo. com

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (١٧)

شرح

منظومة الأحسائي

أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الأحسائي المالكي

(المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ)

الشرح

لفضيلة الشيخ العلامة

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه





الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم بطباعة: شرح منظومة الأحسائي على مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.

رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

١٥/٨/١٤٢٩هـ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله القوي العزيز الغفار، والصلاة والسلام على نبينا محمد النبي المصطفى المختار، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، وسلم تسليما عظيما، أما بعد:

فهذا شرح لنظم الشيخ العلامة الفقيه المحدّث الشاعر الأديب/ أحمد ابن علي بن حسن بن مشرف الأحسائي المالكي المتوفي سنة ١٢٨٥هـ، في تسعين بيتًا لمقدمة الرسالة للإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي، وقد كان الشيخُ ابن مشرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلفيَّ العقيدة، على منهج أهل السنةِ والجماعة في إثباتِ الصفاتِ واقتفاء آثار السلفِ الصالح في العلم والعمل والدعوة، وقد عرف الشيخ أحمد بن مشرف بحسن نظمه، وعذوبة ألفاظه، وجودة اختياره، وعلو كعبه في الأدب والنظم، وصاحب ملكة فريدة وجهد طيب في الدفاع عن عقيدة السلف الصالح، وقد قال عنه الزركلي: (فقيهٌ مالكي، كثيرُ النظم، سلفيُّ العقيدة)، وقال أيضا: (وله منظوماتٌ في التوحيد والرد على المعطلة ومدائح جُمِعتْ في مجلد باسم «ديوان ابن مشرف» مطبوع)[1].

وفي هذا الكتاب شرح لشيخنا العلامة ووالدنا الكريم صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

---

(١) انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٨٢-١٨٣).

لهذه المنظومة، التي نظم فيها الشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي -رحمه الله، وغفر له- مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.

وقد قام فضيلته بشرحها يوم الثلاثاء الموافق الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول لعام ألف وأربعمائة وأربعةٍ وثلاثين، وانتهى منه- حفظه الله- يوم الثلاثاء الموافق السادس عشر من شهر ربيع الثاني لعام ألف وأربعمائة وأربعةٍ وثلاثين من الهجرة النبوية المباركة، في مسجد الأمير متعب بالرياض، بالمملكة العربية السعودية -حرسها الله-.

فرحم الله الامام أبا محمد ابن أبي زيد القيرواني المؤلف صاحب المقدمة، وناظمها ابن مشرف الأحسائي المالكي، وشارحها شيخنا ووالدنا العلامة الدكتور صالح الفوزان، والمعتني بها العبد الضعيف الفقير، الذي يرجو رحمة ربه وستره ومغفرته وعافيته، ورحم الله المتبرعين الذين جادوا بالتبرع الكريم وطبع الكتاب على نفقتهم الشيخ أبا عبد الرحمن مساعد بن علي الشايجي، والشيخ أبا وائل محمد بن أحمد الفرحان، وزوجته الكريمة المباركة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع، والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة الشيخ الإمام الحافظ/ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني؛ كما نظمها الشيخ أحمد بن مشرَّف الأحسائي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمْدُ للهِ حَمْدًا لَيسَ مُنْحَصِرًا ... عَلَى أَيَادِيهِ ما يَخْفى وما ظَهَرا

ثُمَّ الصَّلاةُ وَتَسْلِيمُ الْمُهيمِنِ مَا ... هَبَّ الصَّبَا فَأَدَرَّ العَارِضَ الْمطَرَا

عَلَى الَّذِي شَادَ بُنْيَانَ الْهُدَى فَمَا ... وَسَادَ كُلَّ الْورَى فَخْرًا وما افْتَخَرَا

الشَّرح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه المنظومة للشيخ ابن مشرف رَحِمَهُ اللَّهُ لأنه طُلِبَ منه أن ينظمها، فنظمها بنظم لذيذ منسق، فنحب أن نقرأها:

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا لَيْسَ مُنْحَصِرَا... عَلَى أَيَادِيهِ مَا يَخْفَى وَمَا ظَهَرَا)؛ لأنه بدأ النظم بـ«الحمد لله»؛ مثل كل المؤلفات، تبدأ بـ«الحمد لله».

(ثُمَّ الصَّلَاةُ وَتَسْلِيمُ الْمُهَيْمِنِ مَا... هَبَّ الصَّبَا فَأَدَرَّ الْعَارِضُ الْمَطَرَا)، العارِضُ، السحاب يعني؛ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ [الأحقاف:٢٤]، فالعارض: هو السحاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هَبَّ الصَّبَا): الذي هو الشرق؛ لأن الريح الشرقية تثير السحاب وتلقحه؛ لأن الرياح أقسام، منها: ما يثير السحاب من مظانه، ومنها: ما يؤلفه ويجمعه، ومنها: ما يلقحه بالماء؛ ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر:٢٢]، ومنها: ما يسوق السحاب في الجو إلى حيث أمره الله.

فالصَّبَا: هي الشرق؛ لأن الرياح إما شمالية، وإما جنوبية، وإما غربية، وإما صبا، وهي الشرق، وأحسن الرياح هي الصَّبَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَلَى الَّذِي شَادَ بُنْيَانَ الْهُدَىٰ فَسَمَا... وَسَادَ كُلَّ الْوَرَىٰ فَخْرًا وَمَا افْتَخَرَا) على الذي ساد كلَّ الوَرَى، وسما، وهو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو سيد الأولين والآخرين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَسَادَ كُلَّ الْوَرَىٰ): يعني الخلق؛ لأنه رسول الله إلى الناس كافة.

وسما: يعني ارتفع، من السمو وهو الارتفاع؛ رفع الله قدره: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤]، رفع الله قدر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شَادَ بُنْيَانَ الْهُدَىٰ): من الذي بنى الإسلام؟ هو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء به، وبينه للناس، وترك أمته عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَسَادَ كُلَّ الْوَرَىٰ): هو سيد الخلق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو سيد الأولين والآخرين، سيد المرسلين والخلق أجمعين، الله فضله بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَا افْتَخَرَا): عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لم يكن يفتخر على الناس بنفسه، أو يفتخر بما أعطاه الله.

ولكنه كان يتحدث بنعم الله، فيقول: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ**»[1]؛ من باب التحدث بنعمة الله، لا من باب الإعجاب بنفسه، ما افتخرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يتحدث بنعمة الله؛ لأن الله أمره بذلك: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:١-٤]، هذا من نعم الله عليه.

والسورة التي قبلها -الضحى-: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى:٣-٦]؛ لأن أباه مات وهو صغير.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾، ضالًّا: يعني لا تعرف، ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢].

﴿ضَآلًّا﴾: ليس من الضلال الذي هو الكفر، لكنه ضال، لايعرف الإيمان على التفصيل، وإن كان يؤمن بالله، ولكن تفاصيل الإيمان، وما يجب الإيمان به، هذا إنما جاءه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾: هداك إلى الإيمان، وإلى معرفة الحق.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: الذي هو فقد أباه وهو صغير، يجب إكرامه والإحسان إليه، ورحمته، والشفقة عليه، وتربيته، وحفظ ماله.

---

(١) أخرجه مسلم (٣) (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ يعني: تستغل يتمه وعدم وجود والده، تستغل ذلك، تتسلط عليه.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:٧-١٠]: سائل العلم الذي يسألك عن العلم لا تنهره، وتغلظ عليه، بل ابسط له وجهك، واستقبله، وأجب سؤاله، فلا تنهره وتزجره.

وكذلك سائل المال -سائل العلم وسائل المال-، إذا سألك سائل محتاج؛ إن كان معك شيء، فأعطه، وإلا فأعطه كلامًا طيبًا، واصرفه صرفًا جميلًا، ولا تنهره بالقول.



نَبِيُّنا أَحْمَـدُ الهَـادِي وَعِتْرَتِـهِ وَصَحْبُهُ كُلُّ مَنْ آوى وَمَنْ نَصَرَ
وَبَعْدُ فالْعِلْمُ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ أَحَدٌ إلَّا سَمَا وَبِأَسْبابِ الْعُلَا ظَفَرَا
لاسِيّما عِلْمُ أَصْلِ الدِّين إنَّ بِهِ سَعَادَةُ الْعَبْدِ والمَنْجَى إذا حُشِرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (نَبِيُّنا أَحْمَـدُ الهَـادِي وَعِتْرَتِهِ)، أحمد: هذا من أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، هذا قول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل.

﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، فاسمه: أحمد، ومحمد، والهادي، والماحي، والحاشر، إلى آخره، ذكر أسماءه ابن القيم في «جلاء الأفهام»، أو ذكر جملة منها، فهذا من أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (نَبِيُّنا أَحْمَدُ الهَادِي)؛ الهادي إلى الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، الهادي: يعني المبين، وأما الهادي بمعنى الموفق، هذا لله عَزَّ وَجَلَّ؛ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]، الرسول يهدي بمعنى أنه يبين الحق، ويدل عليه هداية البيان، وأما هداية القلوب، فهذه لايملكها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعِتْرَتِهِ)؛ يعني: قرابته، العترة هي القرابة وأهل البيت.

(١) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام (ص١٧١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَصَحْبُهُ كُلُّ مَنْ آوى وَمَنْ نَصَرَا)، لما صلى وسلم على العترة، وهم القرابة، أولًا: صلى وسلم على الرسول، ثم على عترته، ثم على أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَبَعْدُ فالْعِلْمُ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا سَمَا): إلا ارتفع قدره، ارتفع قدره بالعلم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، فالعلماء لهم قدرهم، لهم مكانتهم بما آتاهم الله من العلم، فسموا به؛ يعني: ارتفعوا به على غيره؛ رفعة قدر ومكانة، وليست رفعة فخر وإعجاب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَبِأَسْبابِ الْعُلَا ظَفَرَا)؛ ظفر بها: يعني حصلها، وتمكن منها. فالعلم سببٌ للعُلا، العلا هو الارتفاع، ارتفاع القدر والمكانة عند الله وعند خلقه، فالعلماء لهم قدرهم ولهم مكانتهم -علماء الشريعة-، وهم ورثة الأنبياء؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1]، ليس

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، والدارمي (٣٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ. وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ. وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

الحظ الوافر بكثرة الأموال والأرصدة، وإنما بكثرة العلم النافع، ولو لم يكن عندهم مال، عندهم الثروة الهائلة، وهي العلم.

وأما ثروة المال، فهذه نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ ونافعة، ولكنها متاع الحياة الدنيا، وأما العلم، فهو زاد الآخرة، والباقي إذا عمل به، إذا عمل به واتبعه، فهو سبب للرفعة في الدنيا والآخرة، سبب للصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، بخلاف الجهل؛ فإن الجهل ضلال وهلاك وتيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَاسِيّما عِلْمُ أَصْلِ الدِّينِ)**: العلم على قسمين: علم ديني، وعلم دنيوي.

علم الصناعات والحرف والاختراعات هذا علم دنيوي، والناس بحاجة إليه، ولكنه علم حرفي؛ حرفة يستفيد منها، ويستفيد منها المجتمع، لكنه لا يعدو أن يكون حرفة في الدنيا، أما العلم الشرعي، لا، فالعلم الشرعي هو محل الشرف؛ لأنه تتركز فيه سعادة الآخرة والنجاة من النار؛ فهو الرفعة الصحيحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِنَّ بِهِ سَعَادَةُ الْعَبْدِ)**، العلم الشرعي به سعادة العبد، سببٌ للسعادة؛ لأنه يبين لك الطريق الصحيح.

وإذا عملت به، حصلت على السعادة التي يطلبها الناس، وهي بالعلم، إذا كنت تريد السعادة، فاطلب العلم، واعمل به، تصل إلى السعادة بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِنَّ بِهِ سَعَادَةُ الْعَبْدِ والمَنْجَى إذا حُشِرَا)**، سعادة العبد، وأهم من ذلك المنجى إذا حشرا، النجاة من المحشر يوم القيامة، وأهوال يوم

القيامة، والنجاة من النار، هذا لا يكون إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، اللذين جاء بهما رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الصف:٩]، فالهدى: هو العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح، هذه هي السعادة الصحيحة، التي تنجي من المحشر يوم القيامة.

هذه منظومة سهلة، وينبغي حفظها؛ لأنها نظمت هذه الرسالة القيمة -رسالة ابن أبي زيد-، فحفظ الرسالة قد يكون صعبًا، لكن حفظ هذا النظم هذا سهل جدًّا.



بَابُ مَا تَعْتَقِدُهُ القُلوبُ
وَتَنطِقُ بِهِ الألسُنُ مِن وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

وأوَّلُ الْفَرْضِ إيمانُ الْفُؤادِ كَذا ... نُطْقُ اللِّسانِ بِما في الذِّكْرِ قَدْ سُطِرَا

أَنَّ الإِلَـــهَ إِلَـــهٌ واحِـــدٌ صَـمَـدٌ ... فَـلا إِلَـهَ سِـوَى مَـنْ لِـلأَنـام بَـرَا

رَبُّ السَّمَواتِ وَالأَرْضِين لَيْسَ لَنَا ... رَبٌّ سِـواهُ تَـعـالَى مَـن لَـنَـا فَـطَرَا

الشَّرح

أول واجب على العبد أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فهذا أول واجب على العبد.

وهاتان الكلمتان -الشهادتان العظيمتان- هما المدخلتان في الإسلام؛ فمن نطق بهما، صار مسلمًا.

وأما ما يقوله علماء الكلام: (إن أول واجب على العبد: النظر في الأدلة، ثم بعد ذلك، إذا نظر في الأدلة الكونية والآيات، حينئذ يشهد أن لا إله إلا الله)، هذا كلام أهل المنطق، وأهل الكلام، وأهل الجدل.

بل إن بعضهم يقولون: (إن الواجب أن يشك الإنسان)، يشك يعني في الرب، ثم ينظر في الآيات والأدلة، ثم بعد ذلك ينطق بالشهادة، هكذا يقولون.

أما أهل السنة والجماعة، فيقولون: (أول واجب على العبد: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله).

والفطرة تدل على هذا بلا نظر وبلا استدلال، الفطرة تدل على هذا، ولهذا أول ما يؤمر به الصبي إذا ميز: الصلاة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ**»؛ وهم أبناء سبع سنين، «**وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(١).

فالذي يؤمر بالصلاة هذا معناه أنه يشهد أن لا إله إلا الله بالفطرة، كيف يؤمر بالصلاة قبل أن يشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد بهذا بفطرته التي فطره الله عليها؟!

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠]، فالله فطر الناس على هذا؛ فلا يحتاجون للاستدلال والشك والنظر؛ كما يقولون، هذا كلام باطل.

وهذا معنى قول المصنف: أول واجب على العبد أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا يحتاج إلى أنه يستدل، وينظر في الأول، ويتوصل إلى العقيدة؛ إذًا الفطرة ليس لها دور عندهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأَوَّلُ الْفَرْضِ إِيمانُ الْفُؤادِ كَذَا**)، لاحظ! أول الفرض، فأول الفرض: النطق بالشهادتين، لم يقل: أول الفرض: النظر. هذا رد عليهم.

أول الفرض: نطق اللسان بالشهادتين مع اعتقاد القلب؛ كما في الذكر الذي هو القرآن قد سُطرا؛ كما سمعتم في الآية: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (١١/ ٢٨٤)، والحاكم (١/ ٣١١)، والدارقطني (١/ ٤٣٠) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»، فلو تُرِك، ولا يتعرضون له بالتهويد أو التنصير أو التمجيس، لكانت فطرته التوحيد، لكن يصرفونه عن ذلك بتربيته السيئة، وإلا فالفطرة شاهدة لتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ بدون نظر، وبدون استدلال على ذلك، فهذه المسألة مهمة جدًّا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وأَوَّلُ الْفَرْضِ إِيمانُ الْفُؤَادِ كَذَا**)، الفؤاد يعني: القلب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**نُطْقُ اللِّسانِ بِما فِي الذِّكْرِ قَدْ سُطِرَا**)، لا يكفي إيمان القلب، لابد من نطق اللسان، ولا يكفي نطق اللسان بدون إيمان القلب، لابد من الأمرين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أَنَّ الإِلَهَ إِلَهٌ واحِدٌ**)، هذا معنى لا إله إلا الله؛ فأول ما ينطق به المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، والكافر إذا أراد أن يسلم، فإنه لابد أن ينطق بـ«لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، لا يقال له: (انظر وفكر، وانظر في الأدلة والبراهين وعلوم المنطق وعلوم الجدل، ثم بعد ذلك تقتنع ثم تعتقد)، يقولون: (انظر ثم اعتقد).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**صَمَدٌ**)، صمدٌ، الصمد: هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها؛ يعني: تقصد الخلائق بحوائجها إليه، ولا يقصدون بحوائجهم غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه الفطرة.

أما الذي يدعو غير الله، ويقصد بحوائجه غير الله -كالموتى-، فهذا منحرف الفطرة وفاسد الفطرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَلا إِلَهَ سِوَى مَنْ لِلأَنامِ بَرَا**)، برَا: يعني خلق، الباري: الخالق، وهو الله الخالق الباري، الباري هو الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**رَبُّ السَّمَواتِ وَالأَرْضِينَ لَيْسَ لَنَا... رَبٌّ سِواهُ تَعالَى مَن لَنَا فَطَرَا**) الإله: هو الرب، الإله: هو المعبود[1]، والألوهية: العبادة.

والرب: هو المدبر الخالق الرازق، هذا توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فهو رب السماوات السبع والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده، وكلهم خلقه، فيجب عليهم أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَيْسَ لَنَا رَبٌّ سِواهُ تَعالَى مَن لَنَا فَطَرَا**)، فكما أنه ليس لنا ربٌّ سواه، إذًا ليس إله نعبده سواه.



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٩٨)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٦٣).

وَأَنَّــهُ مُـوجِـدُ الأَشْـيـاءِ أَجْمَعِها ... بِـلا شَـرِيـكٍ وَلا عَـوْنٍ وَلا وُزَرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّهُ مُوجِدُ الأَشْياءِ أَجْمَعِها... بِلا شَرِيكٍ وَلا عَوْنٍ وَلا وُزَرَا)؛ أنه أوجد الأشياء، وخلقها بلا شريك أعانه، ولا وزير ظاهره على ذلك، بل هو وحده خلقها بقدرته ومشيئته وإرادته، فلا يحتاج إلى معين، ولا إلى ظهير، ولا إلى وزير، فهو الذي خلق وبرَا الخلق وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فإذا كان كذلك، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وأن يفرد بالعبادة دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يحيي ولا يميت، فهذا لا يستحق العبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّهُ مُوجِدُ الأَشْياءِ أَجْمَعِها... بِلا شَرِيكٍ وَلا عَوْنٍ وَلا وُزَرَا)، سبحانه، ليس له شريك، ولا عون أعانه؛ لأنه لا يحتاج إلى أحد، قادر على كل شيء، عليم بكل شيء، لا يحتاج إلى أحد في الخلق والإيجاد والتدبير.



وَهْوَ الْمُنَزَّهُ عَنْ وُلْدٍ وَصاحِبَةٍ ... وَوالِدٍ وَعَنِ الأَشْباهِ وَالنُّظَرا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهْوَ الْمُنَزَّهُ عَنْ وُلْدٍ وَصاحِبَةٍ)، منزه عن الولد، ليس له ولد، فهذا فيه رد على النصارى الذين يقولون: (المسيح ابن الله)، ورد على المشركين الذين يقولون: (الملائكة بنات الله).

الله ليس له ولد، لا ذكر ولا أنثى؛ لأن الولد إنما يكون من صفات البشر الفقراء المحتاجين، فالإنسان بحاجة إلى الولد ليساعده، وليتولاه إذا مرض أو كبر، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه غني: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس:٦٨]، فليس بحاجة إلى الولد، إنما هذا من خصائص البشر.

ثم أيضًا: من أين يكون له الولد، وهو ليس له زوجة، ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾؛ يعني: ليس له زوجة، من أين يأتيه الولد بدون زوجة؟! تعالى الله عن ذلك.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٠١]، فهو سبحانه ليس له زوجة، فكيف يقال له ولد؟!

هذا من طبائع البشر؛ ليس هناك ولد إلا بزوجة، بدون زوجة لايكون لك أولاد، فكيف ينسبون لله الولد، وهو ليس له صاحبة؟!

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾: يعني من أين يكون له ولد.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾: يعني زوجة.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: ليس هناك شيء في هذا الكون إلا والله خلقه، فكيف يكون مخلوقه ولدًا له وشريكًا له؟! تعالى الله عن ذلك.

فهذا فيه برهان من ناحيتين:

من ناحية: أن الله ليس له صاحبة؛ يعني: ليس له زوجة؛ إذًا كيف يأتيه الولد؟!!

ومن ناحية: أنه خالق كل شيء، فكيف يكون المخلوق شريكًا للخالق، تعالى الله عن ذلك؛ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهْوَ المُنَزَّهُ عَنْ وُلْدٍ وَصاحِبَةٍ وَوالِدٍ)، وعن الوالد، منزه عن الوالد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:١-٣]؛ يعني: لا بداية له ولا نهاية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾ [الإخلاص:٤]؛ يعني: مشابهًا، ﴿أَحَدٌ﴾: لا يشابهه أحدٌ من خلقه.

هذه سورة الإخلاص، التي تعدل ثلث القرآن؛ لأنها تضمنت توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣، ٦٦٤٣، ٧٣٧٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنِ الأَشْباهِ وَالنُّظَرَا)، وتنزه عن الأشباه والنُّظرا: لا يشبهه شيء، ولا يماثله شيء؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾؛ يعني: الأشباه والنُّظرا؛ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤]، فليس له شبيه، وليس له نظير، وليس له مثيل، وليس له ظهير ولا وزير، ليس له ولد، ولا زوجة، ولا والد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



لا يَبْلُغَنْ كُنْهَ وَصْفِ اللهِ وَاصِفُهُ وَلا يُحِيطُ بِهِ عِلْمًا مَنِ افْتَكَرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يَبْلُغَنْ كُنْهَ وَصْفِ اللهِ وَاصِفُهُ)، لا يحيط أحدٌ بصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كُنْه: يعني كيفية الصفة.

الصفات معلومة المعنى، فالعليم معناه: الذي يعلم الأشياء، والبصير معناه: الذي يبصر الأشياء، الحي: معناه الذي لا يموت.

فمعانيها معلومة، وأما كيفيتها، فمجهولة لنا، لاندركها، فهذا الفرق بين المعنى والكيفية؛ المعنى معلوم، والكيفية مجهولة.

ولهذا لما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال له رجل: (يا أبا عبد الله! ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟)، فأطرق مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى علته الرحضاء -يعني: العرق-؛ من خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن هذا سؤال لا يليق بالله، ثم رفع رأسه، فقال: يا هذا! «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»[1]، «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ»؛ يعني: معنى الاستواء العلو على العرش معلوم، «وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»؛ يعني: عن الكيفية؛ لأن الرجل يقول: (كيف استوى؟)؛ الكيفية مجهولة، «وَمَا أَرَاكَ إِلَّا رَجُلَ سُوءٍ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤- ٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠)، وفي العلو (ص١٣٩).

المَجْلِسِ»[١]، فلا يجوز السؤال عن الكيفية: كيف استوى على عرشه؟ كيف ينزل إلى السماء الدنيا؟ هذا لا نعلمه، الله على كل شيء قدير، هو قال: (إنه استوى)، نقول: نعم، استوى على العرش.

الأشاعرة[٢] وعلماء الكلام يقولون: (استوى بمعنى: استولى، استولى على العرش)، وهذا معناه: أنه كان قبل ذلك غير مستولٍ على العرش، وأنه استولى عليه بعد مغالبة مع غيره، استولى على العرش، استوى يعني: استولى. فالله مستول على الأشياء كلها بمعنى أنه مالكها، ليس خاصًّا بالعرش، الله مستول على كل شيء، يملك الأشياء كلها، وليس هذا خاصًّا بالعرش، إنما الذي اختص بالعرش: الاستواء عليه، فهذا الذي اختص بالعرش؛ أن الله استوى عليه.

كيف استوى عليه؛ قائمًا أو جالسًا أو ماذا؟ هذا لا نسأل عنه، لايجوز لنا أن نسأل عنه، استوى على العرش، الله على كل شيء قدير.

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤- ٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠)، وفي العلو (ص١٣٩).

(٢) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ.
انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

نؤمن أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ كما تواتر الحديث بذلك[1]، ونكل كيفيته.

لا نقول: كيف ينزل إلى السماء؟ هل ينزل بذاته؟ كيف ينزل عند ناس دون آخرين؟ كيف الليل يختلف باختلاف البلدان، ثلث الليل يختلف؟

نقول: كل هذه أسئلة لا قيمة لها، الله على كل شيء قدير، الله هو الذي خلق الزمان، وهو القادر، وهو الذي خلق الليل والنهار، وهو القادر على أن ينزل كيف يشاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فلا نسأل عن كيفيات الصفات، هذه قاعدة عامة: أننا نؤمن بها ونعرف معناها، ولا نعلم كيفيتها، نكلها إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَلا يُحِيطُ بِهِ عِلْمًا مَنِ افْتكَرَا)، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، هو أعلم بنفسه سبحانه وبغيره.

أما نحن، فنعلم شيئًا، ونجهل أشياء كثيرة، أما الله جَلَّوَعَلَا، فإنه يعلم كل شيء، يعلم ما يليق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ونحن لا نعلم ذلك.

---

(١) حديث النزول رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». هذا لفظ البخاري.

وَأَنَّـــهُ أَوَّلٌ بَـــاقٍ فَـلَـيـسَ لَـهُ بَدْءٌ وَلا مُنْتَهَى سُبْحانَ مَنْ قَدرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّهُ أَوَّلٌ بَاقٍ فَلَيسَ لَهُ... بَدْءٌ وَلا مُنْتَهَى سُبْحانَ مَنْ قَدرَا) هذا كما في الآية: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، فسرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ -يعني: فوق المخلوقات-، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ، دُونَكَ شَيْءٌ»[(١)].

فلسنا بحاجة إلى تفسير المؤولة لهذه الآية، فقد فسرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أعلم بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والتفسير إذا جاء عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يجب قبوله، والإيمان به؛ لأنه أعلم بربه سبحانه وما يليق به.



---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

حَـيٌّ عَلِـيمٌ قَـدِيـرٌ وَالـكَـلامُ لَهُ   فَـرْدٌ سَميـعٌ بَصِيرٌ مَـا أرادَ جَرَى

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حَـيٌّ): ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، هو الحي لا يموت سبحانه، ولا ينام، لا تدركه سِنَةٌ -وهو بداية النوم-، ولانوم -وهو النوم المستغرق-؛ من كمال حياته.

لا يموت، لا ينام، لا تدركه سِنَةٌ، هذا من كمال حياته سبحانه، وإنما هذه من عوارض حياة البشر المخلوقات، التي تموت بعد أن كانت حية.

والبشر ينام، والبشر ينعس؛ لأنه ناقص، حياته ناقصة، أما حياة الله جَلَّ وَعَلَا-، فهي كاملة؛ ﴿ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨]، أما غيره من الأحياء، فهم يموتون؛ إما موتًا أكبر بمفارقة الروح للجسد، وإما موتًا أصغر بالنوم، بمفارقة الروح للبدن في النوم، هذه موتة صغرى، كلها منفية عن الله جَلَّ وَعَلَا، حياته كاملة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حَـيٌّ عَلِيـمٌ): يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة:٢٨٢]. أما نحن، فنعلم أشياء يسيرة، ونجهل الأكثر، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فعلمه محيط بكل شيء، والخلق علمهم قاصر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَدِيـرٌ): يقدر على ما شاء وعلى ما أراد سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يعجزه شيء، أما نحن، فقدرتنا محدودة مهما كنا، مهما كان البشر، لو كان

من الشجعان من الملوك، من الرؤساء، من..، من..، من العلماء، قدرتهم محدودة.

أما قدرة الله جَلَّ وَعَلَا تامة لا يعجزها شيء، على كل شيء قدير، على كل شيء، لا أنه يقدر على بعض الأشياء ويعجز عن بعضها، على كل شيء قدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالكَلَامُ لَهُ): من صفاته: الكلام؛ فهو يتكلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكلام يسمعه من شاء من خلقه، سمعه جبريل، سمعه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيسمعه من شاء من خلقه.

في يوم القيامة يكلم الله الناس، ويخاطبهم واحدًا واحدًا، وكلامه جَلَّ وَعَلَا يليق بجلاله، ليس مثل تكلم المخلوق أو كلام المخلوق كسائر صفاته، بخلاف الجهمية[1] والمعتزلة[2] والأشاعرة، الذين ينفون الكلام عن الله،

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ قتله سَلْم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٩٠).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو ابن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.
وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل =

ويقولون: (ننزه الله، هذه من صفات المخلوقين)، يقولون: (هذه الصفات -السمع والبصر والكلام- هذه من صفات المخلوقين، فإذا أثبتنا، فمعناه أننا شبهنا الله بخلقه)!

نقول لهم: كذبتم وجهلتهم؛ فإن صفات الله تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، ولا تشابه بينها أبدًا، فلا يلزم من إثبات الصفات إثبات التشبيه.

والفاصل في هذا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، نفى عن نفسه المماثلة، وأثبت لنفسه السمع والبصر، والمخلوقون عندهم سمع، وعندهم بصر، فدل على أن سمعه وبصره وسائر صفاته ليست كسمع وبصر المخلوقين وصفات المخلوقين، حتى يلزم التشبيه؛ لا يشبهه شيء، لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهم شبهوا أولًا، ثم عطلوا ثانيًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَصِيرٌ): يبصر كل شيء؛ فلا يخفي عليه شيء من خلقه، يبصر دبيب النمل الأسود على الصفا الأسود في ظلمة الليل، لايخفى عليه شيء سبحانه في الأرض ولا في السماء، لا يحجب بصره شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يبصر الأشياء، فيراها سبحانه، لا تخفى عليه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران:٥]، سبحانه يرى، يبصر حركات الأجنة في

=السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٣٧-٥٣٩).

بطون أمهاتها، يبصر جريان الأغذية في العروق، يبصر كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يحجب بصره شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَلِيمٌ): صيغة مبالغة؛ أي كثير العلم، فهو سبحانه يعلم كل شيء، محيط علمه بكل شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَا أَرَادَ جَـرَى): ما أراد الله، فلابد أن يحصل، أما نحن نريد أشياء وأشياء لا تحصل، نعجز عنها، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧]، فإرادته سبحانه تقع إذا أراد شيئًا؛ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، في الحال بمجرد قوله: ﴿كُن ﴾ يوجد الشيء الذي أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه لا يعجزه شيء، هذه الإرادة الكونية، وأما الإرادة الشرعية، فهي أوامره ونواهيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده.

وَأَنَّ كُرْسِيَّهُ وَالْعَرْشَ قَدْ وَسِعَا كُلَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِينَ إِذْ كَبُرَا

الشَّرْح

السموات السبع -كما في الآيات- سبع سماوات، كل سماء فوق التي تحتها، سبع سماوات طباقًا، فوق السماوات: البحر؛ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، بحر عظيم محيط بالكون[1]، ثم فوق البحر: الكرسي؛ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فالكرسي أوسع من السماوات، محيط بها[2]، وفوق الكرسي: العرش، وهو أعظم المخلوقات،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٤٧)، والتوحيد لابن خزيمة (٢/ ٨٨٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٦)، والديلمي في الفردوس (٤/ ٧٨)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٠٥) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ». وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَ الْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (١/ ٢٠٦).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، والذهبي في العلو (ص١١٧)، ولفظه: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

محيط بالكرسي[١] وبالمخلوقات[٢]، هذا العرش، عرش الله جَلَّوَعَلَا، وهو فوق العرش جَلَّوَعَلَا يستوي على العرش[٣]، استوى أي: علا وارتفع على العرش جَلَّوَعَلَا[٤].

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٣٦) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ».

(٢) كما في حديث الأطيط الذي أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٢٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٥٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦١)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٥٧)، والآجري في الشريعة (٣٠٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٤) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتْ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا. وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ».

(٣) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٢٧٩٠) وفيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

(٤) قَالَ الْأَخْفَش: (استَوى أي علا، وَيَقُول: استوَيْتُ فوقَ الدّابة، وعَلى ظهر الدَّابة، أَي: عَلَوْته). انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٨٥)، والصحاح (٦/ ٢٣٨٥)، ولسان العرب (١٤/ ٤١٤).

=



= قال أبو العالية الرياحي: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ارتفع، وقال مجاهد: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ علا على العرش، انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب (٢٢) قبل حديث (٧٤١٨)، وتفسير الطبري (١/ ١٩١-١٩٣)، وتغليق التعليق (٥/ ٣٤٤).

وجاء في الدرر السنية (١/ ٥٠٤): (قال النضر بن شميل - وكان ثقة مأمونًا في علم الديانة واللغة -: حدثنا الخليل وحسبك بالخليل قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فسلّمنا عليه فردّ السلام وقال: استووا، فبقينا متحيّرين ولم ندر ما قال، فقال لنا أعرابي إلى جانبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، فقال الخليل: هو من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ فصعدنا إليه).

وَلَمْ يَزَلْ فَوْقَ ذَاكَ الْعَرْشِ خَالِقُنا ... بِذَاتِهِ فَاسْأَلِ الْوَحْيَيْنِ وَالفِطَرا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمْ يَزَلْ فَوْقَ ذَاكَ الْعَرْشِ خَالِقُنا بِذَاتِهِ)، بذاته، فاستوى على العرش بذاته، هذا رد على الذين يقولون: (استولى على العرش بقدرته)، وأما هو عندهم- تعالى الله- يقولون: (هو في كل مكان، لا يختص به مكان)، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا!

عندنا صفتان لله: العلو، والاستواء على العرش.

العلو: صفة ذاتية لله عَزَّ وَجَلَّ، لا يزال عاليًا فوق مخلوقاته بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، له العلو المطلق: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، كلها نثبتها لله.

أما المعطلة، فإنما يثبتون علو القهر والقدر فقط، ولا يثبتون علو الذات، تعالى الله عما يقولون!

والعلو صفة ذاتية ملازمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لا يزال عاليًا على خلقه، على مخلوقاته، صفة ذاتية ملازمة لذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعلا جَلَّ وَعَلَا بجميع أنواع العلو -علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر-، لا كما يقوله المؤولة: (له علو قدر وعلو القهر فقط، دون علو الذات).

وقد دلت على العلو أدلة كثيرة، منها: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»، واحد من الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أن يعتق جارية، فذهب بها إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يعتقها؛ ليختبرها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لها: **«أَيْنَ اللهُ؟» فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»**[1]، فدل على أن من أثبت أن الله في السماء أنه مؤمن، وأن من نفى ذلك أنه ليس بمؤمن -نسأل الله العافية!-، **«أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»**.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦-١٧]، كرر هذا: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: في العلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمراد بالسماء هنا: العلو، السماء يطلق، ويراد به العلو المطلق، ويطلق، ويراد به السماوات المبنية، السبع الطباق، المراد هنا: العلو.

وقد ألف شيخ الإسلام الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا سماه: (العلو للعلي الغفار)[2]، أورد فيه كثيرًا من الأدلة على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق مخلوقاته، وهو كتاب جليل، وهو مطبوع -ولله الحمد- ومتيسر.

وأما الاستواء: فهو صفة فعلية، يفعله إذا شاء سبحانه، ليس بدائمًا، يفعله، إذا شاء مثل سائر أفعاله.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كتاب (العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها)، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: طبعته مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١.

ولهذا لما ذكر أنه خلق السماوات والأرض، قال: ﴿ثُمَّ﴾، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، فرتب الاستواء على العرش بـ﴿ثُمَّ﴾ على خلق السماوات والأرض.

أما العلو، فهو دائم، وأما الاستواء، فهو يفعله إذا شاء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، فيجب الفرق بين هذا وهذا، وكلاهما -العلو والاستواء- بذاته سبحانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَاسْأَلِ الْوَحْيَيْنِ وَالفِطَرَا)، اسأل الوحيين: الكتاب والسنة؛ فيهما الأدلة على علو الله على مخلوقاته واستوائه على عرشه، والكتاب والسنة مملوءان من هذه الأدلة.

ثم اسأل الفطر، الفطرة تدل على هذا، أنت لما تسأل الله، إلى أين تتجه؟ العوام الذين لم يتعلموا العقيدة ولم يدرسوها إلى أين يتجهون إذا دعوا الله؟ أليسوا يتجهون إلى السماء؟ ويرفعون أبصارهم إلى السماء، ويرفعون أيديهم إلى السماء، وهم لم يتعلموا، ولم يدرسوا العقيدة، ولم يتخرجوا من كلية، ولا من شيء، لكن فطرتهم هكذا، فطرتهم دلتهم على هذا، فطرة الله جَلَّ وَعَلَا، هذه الفطرة، فهم يعرفون أن الله في السماء بفطرتهم، ولو لم يتعلموا، (فَاسْأَلِ الْوَحْيَيْنِ وَالفِطَرَا)، هذا معناه.



إِنَّ العُلُوَّ بِهِ الأَخْبارُ قَد وَرَدَتْ عَنِ الرَّسولِ فَتابِعْ مَن رَوَى وَقَرَا
فاللهُ حَقٌّ عَلى المُلْكِ احْتَوَى وَعَلَى الْـ عَرْشِ اسْتَوَى وعنِ التَّكْيِيفِ كُنْ حَذِرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ العُلُوَّ بِهِ الأَخْبارُ قَد وَرَدَتْ)، وردتْ من القرآن والسنة، ومن يكذب القرآن والسنة؟ لا يكذبها إلا كافر -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَتابِعْ مَن رَوَى وَقَرَا)؛ تابع من روى الأحاديث في العلو، وقرأ الأحاديث، تجد عندهم العلم بذلك؛ بما ورد عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى.

كيف نترك الأحاديث المعصومة التي جاءت عن الرسول الذي لاينطق عن الهوى، ونأخذ بقواعد المتكلمين وأفكار المتكلمين إلا من انتكس قلبه؟!! نسأل الله العافية!

كيف نلتفت إلى الشبهات، ونترك البراهين الواضحة من القرآن والسنة؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وعنِ التَّكْيِيفِ كُنْ حَذِرَا)، لا تقل: كيف استوى؟ كيف علو الله على مخلوقاته؟ كيف، كيف، لا تسأل عن هذا، هذا لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا مدارك للعقول في ذلك؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، فآمِنْ، وفوض الكيفية، أما المعنى، فلا تفوضه، المعنى معروف؛ كما قال الإمام مالك: «المعنى معروف».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وعنِ التَّكْييفِ كُنْ حَذِرَا**)؛ يعني: احذر أمرين: التأويل والتكييف، احذرهما.

التأويل باطل، والأدلة على ظاهرها، ولا تحرف، والتكييف هذا لا نعلمه، محجوب عنا، التكييف محجوب عنا، لا نعلم كيفية أسماء الله وصفاته؛ لأننا عندنا علم قاصر عن الله؛ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠].



وَاللهُ بِالعِلْمِ في كُلِّ الأَماكِنِ لا يَخْفاهُ شَيءٌ سَميعٌ شاهِدٌ وَيَرَى

الشَّرح

الله جَلَّوَعَلَا يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء، والله يبصر كل شيء، لا يخفى عليه شيء، سميع: يسمع كل شيء، لا يخفى على سمعه شيء، كامل الصفات سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَاللهُ بِالعِلْمِ في كُلِّ الأَماكِنِ)، الله في كل الأماكن بعلمه، فهو فوق السماوات، ويعلم كل شيء، يعلم ما في الأرض، فعلمه في كل مكان، وأما ذاته، فهي فوق مخلوقاته؛ عالٍ على عرشه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:٥]، علمه محيط بكل شيء، وبصره محيط، وسمعه محيط سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ففرق بين العلم والذات؛ علمه في كل مكان، وأما ذاته، فهي فوق مخلوقاته، وعلى عرشه استوى سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولهذا جمع بينهما، قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة:٩٧]؛ يعني: كونه على العرش مستويًا فوق مخلوقاته لا يمنع هذا؛ أنه يعلم ما في الأرض، وما في الخفايا، وما في الصدور، وما في القبور، يعلم كل شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا يَخْفاهُ شَيءٌ سَميعٌ شاهِدٌ وَيَـرَى)، شاهد: يشاهد الأشياء، ويراها سبحانه، لا تخفى عليه، لا تمنعه الحجب، ولا الأستار، ولا القصور، يراها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الله جَلَّ وَعَلَا شهيد علينا؛ ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١]، مع هذا كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، مع علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به.

وَأَنَّ أَوْصافَهُ لَيْسَتْ بِمُحْدَثَةٍ   كَذاكَ أَسْماؤُهُ الْحُسْنَى لِمَنْ ذَكَرا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ أَوْصافَهُ لَيْسَتْ بِمُحْدَثَةٍ... كَذاكَ أَسْماؤُهُ الْحُسْنَى لِمَنْ ذَكَرَا) فأسماؤه وصفاته لازمة لذاته سبحانه، ليست محدثة.

هذا فيه رد على المعطلة الذين يقولون: (نحن لا نثبت الأسماء والصفات أزلية؛ لأننا لو أثبتنا في الأزل، فإننا نجعل لله شريكًا معه، ولكنه أوجد أسماءه وصفاته بعد ذلك؛ لئلا تشاركه في القدم)، هل هذا يقوله عاقل؟!!

الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أزلي، ليس له صفة حادثة، ولا سمع حادث، ولا بصر حادث، ولا يلزم من قدم أسمائه وصفاته أن تكون شركية له في الأزل؛ لأنه بذاته وأسمائه أزلي، وأسماؤه وصفاته ليست غيره، حتى يقال: (إنها شريكة له)، من يقول هذا؟!!

أنت الآن -ولله المثل الأعلى- لك سمع، ولك بصر، ولك عقل، هل معنى هذا أن هذه الأشياء غيرك، وأنها مشاركة لك؟ لا، لا يقول هذا عاقل، هذه لازمة للذات، ليست شيئًا آخر حتى تشاركه، فهو بأسمائه وصفاته أزلي قديم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لم تحدث له الأسماء والصفات.

يقولون: (نخشى من تعدد القدماء، لو أثبتناها أزلية، يلزم على هذا تعدد القدماء، والله ليس له شريك)، يا سبحان الله! هل أسماؤه وصفاته شيء آخر حتى تشاركه؟!

وَأَنَّ تَنْزِيلَهُ القُرْآنَ أَجْمَعَهُ   كَلامُهُ غيرُ خَلْقٍ أَعْجَزَ البَشَرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ تَنْزِيلَهُ القُرْآنَ أَجْمَعَهُ... كَلامُهُ غَيرُ خَلْقٍ أَعْجَزَ البَشَرَا)، فمن صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: الكلام؛ أنه يتكلم متى شاء، إذا شاء، بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالكلام صفة فعلية، يفعلها إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، وإجماع أهل الملة.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عاب آلهة المشركين؛ أنها لا تتكلم، ولاتنطق؛ فالذي لا يتكلم لا يكون ربًّا ولا إلهًا؛ لأنه لا يأمر، ولا ينهى، ولا يدبر إلا بالكلام، ولهذا فإن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تحدى عباد التماثيل، فقال: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]، تحداهم بذلك؛ ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾.

قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:٦٥-٦٧].

قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾: إذًا كيف تعبدونهم وهم لا ينطقون؟! فأقام الحجة عليهم.

وكذلك لما اتخذ بنو إسرائيل العجل الذي صاغه لهم السامري من الذهب -حلي استعاروها من القبط-؛ لأنهم خرجوا من مصر، فلما هلك فرعون والذين معه، ضاقت حيلتهم بهذا الذهب؛ ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه:٨٧]، ماذا يصنعون بها؟

جاءهم السامري- قبحه الله-، فأخذها وصاغها على صورة عجل، جعله مجوفًا يدخله الهواء من جانب، ويخرج من الجانب الآخر، فيكون له صوت؛ ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [طه:٨٨]؛ يعني: من الهواء الذي يدخل فيه، ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه:٨٨]، نسأل الله العافية!

فعبدوه في غياب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لموعد ربه؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذهب لموعد الله له؛ أن يعطيه التوراة، فذهب، واستخلف هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، هارون أنكر عليهم، لكنهم قالوا: ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه:٩١]، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ يعني: من بعد ذهابه؛ ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٨]. الله جَلَّ وَعَلَا بيّن أن هذا لا يصلح في الآلهة؛ لأنه لا يكلمهم، ولا يهديهم سبيلًا.

وفي الآية الأخرى في سورة طه: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه:٨٩]، ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: إذا كلموه، لا يجيبهم، فهذا باطل، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، فدل على أن الذي لا يتكلم لا يصلح أن يكون إلهًا، هذا برهان واضح، ومع هذا عميت بصائرهم -والعياذ بالله- ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [طه:٨٥]؛ عميت بصائرهم.

وفي النهاية جاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ غضبان، وألقى الألواح -ألواح التوراة-، فتكسرت من شدة الغضب، وأخذ برأس أخيه يجره إليه من الغضب، ثم اعتذر أخوه إليه: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥٠-١٥١].

فهذا العجل لا يتكلم، ولا يجيب من سأله، ولا ينفع، ولا يضر، فكيف يتخذ إلهًا؟!

فأخذه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال للسامري: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾؛ أتلفه، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [طه:٩٧-٩٨]: الله جَلَّ وَعَلَا.

فهذا برهان واضح على أن الأصنام كلها الجمادات أنها لا تعبد؛ لأنها لا تتكلم، ولا تدبر، ولا تأمر، ولا تنهى.

فهذا دليل على وصف الله جَلَّ وَعَلَا بأنه الإله الحق؛ لأن له صفات الكمال، ومنها الكلام؛ أنه يتكلم جَلَّ وَعَلَا، ويأمر، وينهى بكلام يسمع، يتكلم بكلام يسمع، ويكلم من شاء؛ كما كلم آدم، وكلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسُمِي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كليم الله؛ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]؛ كلام يسمع.

والجهمية نفت وصف الله بالكلام كسائر الصفات نفوها، يقولون: (لأن هذه الصفات للمخلوقين، ومنها الكلام، المخلوق يتكلم، فإذا أثبتنا أن الله يتكلم، شبهنا الله بالمخلوقين -بزعمهم-، هذا من باب التنزيه).

ولم يعلموا أن هناك فرقًا بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، ومنها الكلام، صفات الخالق تليق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وصفات المخلوقين تليق بهم؛ فلا تشابه بينها، من شبه الله بخلقه، فقد كفر.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]؛ فلا تشابه، نفى عن نفسه التشبيه، وأثبت له الصفات، فدل عل أن إثبات الصفات لا يسمى تشبيهًا؛ لأنه يليق بالله، ولا يشبه صفات المخلوقين.

الجهمية والمعتزلة نفوا كلام الله، والأشاعرة جمعوا بين هذا وهذا -بين كلام الجهمية وكلام المعتزلة-، وأثبتوا لله أن الكلام صفة قائمة بذاته قديمة، يعبر عنها جبريل، أو يعبر عنها محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذا القرآن وهذه التوراة هذه عبارة أو حكاية عن كلام الله، ويسمونها «الكلام النفسي»، وأما الكلام الذي نقرؤه في المصاحف، فهذا ليس كلام الله، هذا تعبير عن كلام الله، عبر به جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وعبر به محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فهذا مذهب الأشاعرة؛ فلا هم مع هؤلاء، ولا هم مع هؤلاء، لاهم مع أهل السنة، وأثبتوا الكلام لله حقيقة، ولا هم مع الجهمية والمعتزلة، فنفوا الكلام عن الله، صاروا بين بين، على باطل.

ولهذا لما تبنى المأمون العباسي(١) هذا المذهب الخبيث بسبب أن جلساءه ومستشاريه كانوا من المعتزلة، فأمروه أن يحمل الناس على هذا، وأن يلزمهم

(١) هو الخَلِيْفَةُ، أَبُو العَبَّاسِ، عَبْدُ اللهِ بنُ هَارُوْنَ الرَّشِيْدِ بنِ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ المَنْصُوْرِ العَبَّاسِيُّ. وُلِدَ: سَنَةَ سَبْعِيْنَ وَمائَةٍ. وَقَرَأَ العِلْمَ، وَالأَدَبَ، وَالأَخْبَارَ، وَالعَقْلِيَّاتِ، وَعُلُوْمَ الأَوَائِلِ، وَأَمَرَ بِتَعْرِيْبِ كُتُبِهِم، وَبَالَغَ، وَعَمِلَ الرَّصَدَ فَوْقَ جَبَلِ دِمَشْقَ، وَدَعَا إِلَى =

بأن يقولوا: (القرآن مخلوق، وليس كلام الله)، وعذب الناس، وقتل بعض العلماء، وسجن بعضهم، وضرب بعضهم، ومنهم الإمام أحمد إمام أهل السنة، ضربه، وسحبه في الأسواق، وعذبه، وأبى أن يقول: (إن القرآن مخلوق)، أبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بعض العلماء تأول، تخلص بالتأويل، أما الإمام أحمد، فأبى، ووقف صامدًا يقول: (القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، ائتوا لي بدليل من الكتاب والسنة على أنه مخلوق، وآتي معكم)، ليس هناك دليل.

فصمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن توفي المأمون، ثم جاء بعده المعتصم[1]؛ نفس الشيء، عذب الإمام أحمد.

ثم مات المعتصم، جاء بعده الواثق[2]، ونفس الشيء، والإمام أحمد صامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا يتزحزح أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، صبر على

=القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ وَبَالَغَ، وَصَمَّمَ عَلَى امْتِحَانِ العُلَمَاءِ فِي سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِم، فَأَخَذَهُ اللهُ، في عام ثمانية عشر ومائتين من الهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٢)، والأعلام للزركلي (٤/ ١٤٢).

(١) هو الخَلِيْفَةُ، أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدُ ابْنُ الرَّشِيْدِ هَارُوْنَ بنِ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ بنِ المَنْصُوْرِ العَبَّاسِيُّ. وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانِيْنَ وَمائَةٍ، امْتَحَنَ النَّاسَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الأَمْصَارِ، وَأَخَذَ بِذَلِكَ المُؤَذِّنِيْنَ، وَفُقَهَاءَ المَكَاتِبِ، وَدَامَ ذَلِكَ حَتَّى أَزَالَهُ المُتَوَكِّلُ بَعْدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا. توفي في عام ٢٢٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩٠)، والأعلام للزركلي (٧/ ١٢٧).

(٢) هو الخَلِيْفَةُ، هارون الواثق بالله أَبُو جَعْفَر، وقيل: أَبُو القاسم. قَالَ الخطيب: كَانَ أَحْمَد بْن أَبِي دُؤاد قد استولى عَلَى الواثق وحمله عَلَى التشدُّد فِي المحنة. ودعا النّاس إلى القول بِخلْق القرآن. ويُقال: إنّ الواثق رجع عن ذلك القول قبل موته. توفي في عام ٢٣٢ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٥/ ٩٥٠)، والأعلام للزركلي (٨/ ٦٢).

الضرب، صبر على السجن، وهو ثابت، حتى فرج الله، وجاء المتوكل[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأزال المحنة، وناصر الإمام أحمد، وناصر مذهب أهل السنة، وجاء الفرج من الله عَزَّوَجَلَّ.

لكن هذا نتيجة الصبر والثبات الذي وفق الله له هذا الإمام العظيم الإمام أحمد بن حنبل، ولهذا يسمى رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام أهل السنة، كل معترف بهذا؛ أنه إمام أهل السنة؛ لصبره، وثباته، وعدم تضعضعه عن الحق[(٢)]، حتى فرج الله للمسلمين، وزال المعتزلة، هلكوا، وهلك مذهبهم معهم، وبقي الحق، والحمد لله.

فهذا كلام الله منزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، غير مخلوق -كما تقوله المعتزلة-، منزل؛ لأن الله قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النساء:١٠٥]، فهو منزل، ليس مخلوقًا، وهو كلام الله.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، أثبت لنفسه الكلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو كلام يليق بجلاله سبحانه، تكلم في الماضي، وتكلم في

---

(١) هو الخَلِيْفَةُ، أَبُو الفَضْلِ جَعْفَرُ ابنُ المُعْتَصِمِ بِاللهِ مُحَمَّدِ ابنِ الرَّشِيْدِ هَارُوْنَ بنِ المَهْدِيِّ بنِ المَنْصُوْرِ القُرَشِيُّ، العَبَّاسِيُّ، البَغْدَادِيُّ. وُلِدَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَمائَتَيْنِ. وَبُوْيِعَ عِنْدَ مَوْتِ أَخِيْهِ الوَاثِقِ فِي ذِي الحِجَّةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِيْنَ. قَالَ خَلِيْفَةُ بنُ خَيَّاطٍ: اسْتُخْلِفَ المُتَوَكِّلُ، فَأَظْهَرَ السُّنَّةَ، وَتَكَلَّمَ بِهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَتَبَ إِلَى الآفَاقِ بِرَفْعِ المِحْنَةِ، وَبَسْطِ السُّنَّةِ، وَنَصْرِ أَهْلِهَا. توفي سنة ٢٤٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٢٧).

(٢) انظر ترجمة الإمام أحمد وقصة محنته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧ - ٣٥٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧).

المستقبل، ويتكلم متى شاء، إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو صفة فعلية، يفعلها إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا مذهب أهل السنة؛ أن القرآن كلام الله، وأنه منزل غير مخلوق، وهو كلام الله، سواء تلي بالألسنة، أو حُفِظ بالصدور، أو كُتِب في المصاحف، فهو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو مكتوب -أيضًا- في اللوح المحفوظ، القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ؛ ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف:٤]؛ في اللوح المحفوظ، ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٍ مَّحۡفُوظِۭ ﴾ [البروج:٢١-٢٢]، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، متلو بالألسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَعْجَزَ البَشَرَا)، أعظم معجزة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي هذا القرآن، الذي أعجز البشر أن يأتوا بسورة واحدة مثله، تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء:٨٨]، لو تعاون الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لم يستطيعوا.

أنزل الله هذا على رسوله وهو بمكة قبل الهجرة، تحداهم وهو بمكة؛ لأن سورة الإسراء مكية، وفي ذاك الوقت ليس له سلطة، وليس له قوة، ومع هذا تحداهم.

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور، فلم يستطيعوا: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم ﴾، ائتوا بمن يعينكم من الجن والإنس على أن تأتوا بعشر سور، ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ

ﭐللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود:١٣-١٤].

ثم تحداهم مرة ثالثة أن يأتوا بسورة واحدة، أقصر سورة، أن يأتوا بسورة واحدة، فلم يستطيعوا: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣]؛ أي: من يشهد لكم أن هذا مثل القرآن، ائتوا بمن يشهد لكم -من العرب، من غيرهم- أن هذا مثل القرآن سواء، لم يوجد واحد، ولم يستطيعوا، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة:٢٤]؛ لم تأتوا بسورة، ﴿ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾؛ يعني: في المستقبل إلى يوم القيامة.

التحدي قائم الآن، والكفار حريصون على تكذيب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يستطيعوا أن يأتوا بسورة من أقصر السور إلى يوم القيامة، ولن يستطيعوا.

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾: هذا خبر عن المستقبل؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون، أخبر أنهم لا يستطيعون في المستقبل، إلى أن تقوم الساعة، فبقي القرآن معجزة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دالة على أنه رسول الله حقًّا، وهو أعظم المعجزات، أعجز البشر والجن والإنس.



وَحْـيٌ تَـكلَّم مَـوْلانـا الـقَـديـمُ بِهِ　　　وَلم يَـزَلْ مِن صِفاتِ اللهِ مُعْتَبَرا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَحْيٌ): وحي من الله، القرآن وحي من الله، ألقاه إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمعه من الله، وتحمله، ثم بلغه إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورواه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا سند القرآن: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾؛ يعني: جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الرسول الملكي، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ﴾، ليس هناك أقوى من جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا تستطيع الشياطين، ولا أحد أن يقربه وهو يحمل كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢٠].

وفي الآية الأخرى أضافه إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٤٠].

فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مبلغان عن الله، الكلام كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهما مبلغان، أضافه إليهما إضافة التبليغ، لا إضافة الابتداء، والكلام يقال لمن قاله مبتدئًا، لا من قاله مبلغًا مؤديًا؛ كما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الواسطية[١].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٤): (فَصْلٌ: وَمِنْ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ؛ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً لَا كَلَامُ غَيْرِهِ؛ وَلَا يَجُوزُ إطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ أَوْ عِبَارَةٌ =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَحْيٌ تكلَّم مَوْلانا القَديمُ بِهِ)، القديم ليس من أسماء الله، الذي من أسماء الله: الأول، والآخر؛ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، هذا الذي من أسماء الله؛ أنه الأول والآخر، ولم يأت اسم القديم، إنما يخبر به عن الله خبرًا، لا يسمى به، لكن يخبر عنه بذلك إخبارًا فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلم يَزَلْ مِن صِفاتِ اللهِ مُعْتَبَرا)، لم يزل القرآن معتبرًا بصفات الله الفعلية.



=عَنْهُ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ بِذَلِكَ فِي المَصَاحِفِ: لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا. وَهُوَ كَلَامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلَامُ اللهِ الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي وَلَا المَعَانِيَ دُونَ الحُرُوفِ).

يُتْلَى وَيُحْمَلُ حِفْظًا فِي الصُّدورِ كَما ... بِالخَطِّ يُثْبِتُهُ فِي الصُّحْفِ مَن زَبَرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَن زَبَرَا)؛ يعني: من كَتَبَ، والزبور: هو الكتاب، الزُّبُر جمع زبور، وهو الكتاب[1].

القرآن هو كلام الله، مكتوب في اللوح المحفوظ، مكتوب في المصاحف التي بأيدينا، محفوظ في صدورنا، متلو بألسنتنا، هو كلام الله بأي وجه كان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يُتْلَى وَيُحْمَلُ حِفْظًا في الصُّدورِ كَما... بِالخَطِّ يُثْبِتُهُ في الصُّحْفِ مَن زَبَرَا)، تكفل سبحانه بحفظ القرآن في الصدور؛ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]، أهل العلم يحفظونه في صدورهم، وليس من كتب الله شيء يحفظ غير القرآن؛ التوراة ليست تحفظ، لا يستطيعون حفظها، إنما الذي يحفظ هو القرآن؛ لأن الله ييسره: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:١٧]، ميسر- ولله الحمد-، يحفظه حتى صغار الأطفال يحفظونه، حتى الأعاجم يحفظونه، ويتقنون حفظه وتلاوته، وهم لا يفهمون العربية، سهله الله، التسهيل من الله جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) انظر مادة (زبر) في: العين (٧/ ٣٦٢)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٣٥)، والصحاح (٢/ ٦٦٦)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٤)، ولسان العرب (٤/ ٣١٥).

وَأَنَّ مُوسَى كَلِيمُ اللهِ كَلَّمَهُ إلهُهُ فَوقَ ذاكَ الطُّورِ إذْ حَضَرَا

الشَّرح

موسى عَلَيهِالسَّلَامُ كلمه الله تكليمًا على طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عَلَيهِالسَّلَامُ، وسمع موسى عَلَيهِالسَّلَامُ كلام الله سُبحَانَهُوَتَعَالَى، لما جاء من مدين ومعه أهله، وضل الطريق في الليل، والليل بارد، رأى نارًا، وفرح بها، فأجلس أهله، وذهب يريد أن يأتيهم بمن يدله على الطريق؛ ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه:١٠]، ويأتيهم أيضًا بشهاب قبس؛ لعلهم يصطلون؛ لأنهم يشتكون البرد.

فلما وصل، قرب من النار، ناداه الله سُبحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤]، ناداه الله سُبحَانَهُوَتَعَالَى، قال له: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٣-١٤].



فـاللهُ أَسْمَـعَـهُ مِـن غَـيْرِ واسِطَةٍ ... مِنْ وَصْفِهِ كَلِماتٍ تَحْتَوي عِبَرَا

حتَّى إذا هَـامَ سُكْرًا في مَحَبَّتِهِ ... قَـالَ الْكَليمُ: إلهَي، أَسْـأَلُ النَّظَرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فاللهُ أَسْمَعَهُ مِن غَيْرِ واسِطَةٍ)، الله أسمع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بدون واسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أسمعه مباشرة، يسمع كلام الله بدون واسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ مُوسَى كَليمُ اللهِ كَلَّمَهُ... إلهُهُ فَوقَ ذاكَ الطُّورِ إذْ حَضَرَا)؛ إذ حضرا إلى الطور -كما قص الله ذلك-، وهو ذهب إلى الطور لم يفكر في هذا الأمر، يريد أن يأتي بالشهاب لأهله، ويريد أن يسأل عن الطريق، هذا الذي يريده، لكن أراد الله له غير ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ الْكَليمُ: إلَهي، أَسْأَلُ النَّظَرَا)، لما واعده الله جَلَّ وَعَلَا، واعده الله أن يأتي إلى الطور؛ ليعطيه ألواح التوراة مكتوبة، التوراة مكتوبة في ألواح، يعطيه ألواح التوراة من هذا المكان.

قيل: إن الله واعده أربعين ليلة، على رأس أربعين ليلة يأتي، صام موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذه الأربعين، ثم ذهب إلى الموعد، وسمع كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وأعطاه التوراة. ثم إن موسى اشتاق إلى ربه، لما سمع كلام الله، اشتاق إلى رؤيته، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾: هذا في الدنيا، في الدنيا لا أحد

يستطيع أن يرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا أحد يستطيع، يحترق، لو تجلى الله له، لاحترق؛ ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾.

ثم أراد الله أن يبين له أنه لا يستطيع رؤية الله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف:١٤٣]، اندك الجبل، صار ترابًا من عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عند ذلك عرف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لن يستطيع أن يرى الله في هذه الدنيا، ولا أحد يستطيع ذلك.

حتى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عُرِج به إلى السماء السابعة وفوق السماء السابعة إذا سدرة المنتهى، سمع كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كلمه الله، فسألوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»(١)؛ يعني: حجبه عني النور، حجابه النور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) أخرجه مسلم [١٩١، ١٩٢ (١٧٨)] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلَيْكَ. قَالَ لهُ الرَّحْمَنُ مَوْعِظَةً   أَنَّى تَرانِي ونُورِي يُدهِشُ البَصَرا

فَانْظُرْ إلى الطُّورِ إنْ يَثْبُتْ مَكانَتَهُ   إِذَا رَأَى بَعْضَ أَنْوارِي فَسَوْفَ تَرَى

حتَّى إِذَا مَا تَجَلَّى ذُو الجَلالِ لَهُ   تَصَدَّعَ الطُّورُ مِنْ خَوْفٍ وَمَا اصْطَبرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حتَّى إِذَا مَا تَجَلَّى ذُو الجَلالِ لَهُ)؛ يعني: تجلى للطور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تَصَدَّعَ الطُّورُ مِنْ خَوْفٍ وَمَا اصْطَبَرَا)، وعند ذلك خر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صعقًا مغشيًّا عليه، لما رأى الجبل تصدع، خر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأُلقي على الأرض مغشيًّا عليه، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾؛ ذهب عنه الغشي، ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾؛ نزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

فَصْلٌ فِي الإيمانِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

وَبِـالـقَـضـاءِ وَبِـالأَقْـدارِ أَجْمَعِها إِيمانُنا واجِبٌ شَرْعًا كَما ذُكِرا

فَـكُـلُّ شَـيْءٍ قَـضـاهُ اللهُ في أَزَلٍ طُرًّا وَفي لَوْحِهِ الْمَحْفُوظِ قَدْ سَطَرَا

الشَرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَبِالقَضاءِ وَبِالأَقْدارِ أَجْمَعِها... إِيمانُنا واجِبٌ شَرْعًا كَما ذُكِرا)، من أصول الإيمان أو من أركان الإيمان: الإيمان بالقضاء والقدر، وهو أن الله قدر الأشياء قبل وقوعها، وقضاها قبل وقوعها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ؛ فلا يحصل شيء في هذا الكون -من خير أو شر، من كفر وإيمان، من طاعة ومعصية، من صحة ومرض، من غنى وفقر، وعز وذل-، لا يحصل شيء في هذا الكون، إلا وهو مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ، فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ومن لم يؤمن بالقضاء والقدر، فإنه كافر -والعياذ بالله!

كما ذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما سأله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

فالقدر سبق من الله جَلَّ وَعَلَا، وكُتِبَ في اللوح المحفوظ، ولا يجري في هذا الكون شيء، إلا وقد قضاه الله وقدره.

---

(١) رواه مسلم في أول كتاب الإيمان [ح١(٨)].

لاحظ! عَلِمَهُ أولًا، الله علم الأشياء قبل حصولها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، ثم يوجدها سبحانه إذا شاء في مواقيتها، التي حددها الله لها: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾، وهو اللوح المحفوظ. ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾؛ أي: من قبل أن نخلقها ونوجدها؛ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد:٢٢].

لماذا أخبرنا الله بذلك؟ ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد:٢٣].

فإذا علمت أن ما أصابك من المكروه أنه قضاء وقدر، وأنه لابد منه، مهما عملت، لا تخلص منه، هو قَدَرٌ، حينئذ يهون عليك الأمر، وتخضع لله عَزَّوَجَلَّ، تصبر على المصائب، وتتوب إلى الله من المعايب والذنوب.

﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾: إذا أنعم الله عليكم بنعمة، فاشكروه، ولاتبطروه وتتكبروا وتفسقوا، لا تسرفوا في نعم الله؛ تصرفوها في معصية الله.

﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾: فالإنسان إذا ابتلي صبر، المسلم إذا ابتلي، صبر، وإذا أنعم عليه، شكر، هكذا المؤمن، أما الكافر، فإنه إذا ابتلي، جزع وسخط، وإذا انعم عليه، أشر وبطر -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَكُلُّ شَيْءٍ قَضاهُ اللهُ في أَزَلٍ)؛ يعني: في الماضي، في الماضي البعيد، الأزل: هو الوقت الماضي البعيد، الذي لايعلمه إلا هو سبحانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِي لَوْحِهِ المَحْفُوظِ قَدَ سَطَرَا)، علمه الله، ثم كتبه. فالله علم الأشياء كلها قبل حصولها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، ثم يوجدها متى شاء في مواقيتها، ويخلقها في مواقيتها[1].



(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٨، ١٤٩)، والعقيدة الواسطية (ص٣٥): (وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه).اهـ. باختصار.

وانظر: جامع العلوم والحكم (ص ٢٧)، وشفاء العليل لابن القيم (ص ٢٩).

وَكُلُّ ما كانَ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ فَرَحٍ ... وَمِنْ ضَلالٍ ومِنْ شُكْرانِ مَنْ شَكَرا

فَإنَّهُ مِنْ قَضاءِ اللهِ قَدَّرَهُ ... فَلا تَكُنْ أَنْتَ مِمَّنْ يُنكِرُ القَدَرا

وَاللهُ خالِقُ أَفْعالِ الْعِبادِ وَمَا ... يَجْرِي عَلَيْهِمْ فَعَنْ أَمْرِ الإِلَهِ جَرا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَلا تَكُنْ أَنْتَ مِمَّنْ يُنكِرُ القَدَرَا)، واضح هذا، لا تكن ممن ينكر القدر، بل تؤمن بهذا، ومن لم يؤمن بهذا، فهو كافر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاللهُ خالِقُ أَفْعالِ الْعِبادِ)، أفعال العباد مخلوقة لله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]، فهي خلق الله، وهي أفعال العباد، الله خلقها، والعبد فعلها باختياره وإرادته ومشيئته، فهو فعل العبد، وهو خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والعبد وأفعاله مخلوقة لله سبحانه.

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]، فيقدر أهل الخير للخير والعمل الصالح، ويقدر أهل الشر للشر والعمل السيء؛ «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[1]؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٧) (٢٦٤٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الليل:٥-٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل:١٠]».

﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]؛ بسبب فعله واختياره ومشيئته.

الله إن أحسن، أكرمه، وإن أساء، عذبه على فعله، لا على القضاء والقدر، على فعله هو؛ ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، على فعله هو.

أما لو لم يفعل شيئًا، لا ينال شيئًا؛ لأنه لا يقال: (هذا مكتوب عليه، وسيصيبه لو لم يفعل شيئًا)، هو سيفعل؛ فإن فعل خيرًا، وجد خيرًا، وإن فعل شرًّا، وجد شرًّا.



فَفِي يَدَيْهِ مَقادِيرُ الأُمورِ وَعَنْ قَضَائِهِ كُلُّ شَيْءٍ في الوَرَى صَدَرَا

فَمَنْ هَدَى فَبِمَحْضِ الفَضْلِ وَفَّقَهُ وَمَنْ أَضَلَّ بِعَدْلٍ مِنْهُ قَدْ كَفَرَا

فَلَيْسَ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ يَكونُ سِوَى ما شاءَهُ اللهُ نَفْعًا كانَ أَوْ ضَرَرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَنْ هَدَى فَبِمَحْضِ الفَضْلِ وَفَّقَهُ... وَمَنْ أَضَلَّ بِعَدْلٍ مِنْهُ قَدْ كَفَرَا)، فالله جَلَّ وَعَلَا يهدي من يشاء بفضله، ليس بحول الإنسان، ولا بقوة الإنسان.

الإيمان والهداية والأعمال الصالحة إنما هي فضل من الله، منحها الله لعبده، فهي فضل الله.

لا تقل: (هذا عملي، وهذا، وهذا)؛ هذا فضل الله عليك، هو الذي وفقك لهذا، وهو الذي علمك هذا، وهو الذي حفظه لك، ولم يضع منه شيئًا.

وأما من كفر، فإن الله يعذبه بعدله؛ يعني: يعذبه على كفره، لا يعذبه؛ لأنه قدر عليه، بل يعذبه على كفره؛ لأنه كفر، هو الذي كفر، هو الذي عصى، هو الذي فسق.

فالصالح يقال: (صلى، وصام، وحج، واعتمر، وجاهد)، والكافر يقال: (كفر، وفسق، وعصى، وطغى، وبغى)؛ أفعاله تنسب إليه؛ خيرًا أو شرًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلَيْسَ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ يَكونُ سِوَى... ما شاءَهُ اللهُ نَفْعًا كانَ أَوْ ضَرَرَا)، واضح هذا.

فَصْلٌ فِي عَذابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِه

الشَّـرح

عذاب القبر ونعيمه. فالقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة على أهل الإيمان والتقوى، وإما أن يكون حفرة من حفر النار على أهل النفاق والكفر والمعاصي بسبب أفعالهم.

وذلك أن الميت إذا وُضِع في قبره، ثم سد عليه اللحد، ثم أهيل عليه التراب، وانتهوا من دفنه، وانصرفوا إلى أهلهم، «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»(١) وهم منصرفون، يأتيه ملكان في القبر -الله على كل شيء قدير-، يأتيه ملكان، يرسلهما الله له، فيقعدانه، وتعاد روحه في جسده -ليس مثل الدنيا، هذه حياة برزخية، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، «**وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ**»، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [إبراهيم:٢٧] الْآيَةُ -ثُمَّ اتَّفَقَا- قَالَ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ:**

---

(١) تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء أيضًا من حديث البراء، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وعائشة، وغيرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا. قَالَ: وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ»، يوسع له في قبره مد بصره، فيصير في روضة من رياض الجنة، إلى أن يبعثه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة.

وأما المنافق والمرتاب الذي كان يعيش على الشك في هذه الدنيا وعلى الريب، فيقول: (لا أدري، هل هو صحيح أن الذي يقول محمد أو ليس بصحيح، لكن أنا اشتغل، ليس عن إيمان)، هو متردد وشاك -والعياذ بالله-، مرتاب، فهذا يغيب عنه الجواب في هذه اللحظة، وإن كان متعلمًا، وإن كان دكتورًا، وإن كان فصيحًا في الدنيا وخطيبًا، وإن كان حافظًا يحفظ كل ما يسمع، حينئذ يغيب عنه كل شي، ويقول: «هَا هَا، لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»؛ يعني: هو مقلد فقط، وليس مقتنعًا بالذي يقوله، لكن يجاري الناس، وهو ليس مقتنعًا، وعنده شك وريب؛ متردد، «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»، فيقال: (هذا مكانك إلى أن يبعثك الله)، وفي هذا يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، الله يثبت المؤمن في هذا المشهد العظيم المرعب، يثبته الله، يجاوب بجواب سديد؛ لأنه في الدنيا عاش على الإيمان، على الصدق، ليس عنده شك أو ريب.

وأما المنافق والمرتاب، فإنه يتلجلج، ويغيب عنه كل شيء، ولايستطيع الجواب، يقول: (ها ها)، كلمة «ها ها» هذه معناها: ليس عنده شيء، أنا سمعت الناس يقولون شيئًا، أنا لا أعمل في الدنيا عن اقتناع، إنما هو مجاملة متابعة للناس، «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»، نسأل الله العافية!

ليس في قلبه إيمان، ولا في قلبه تصديق؛ لأن بعض الناس يقول: (هذه تقاليد، أنا أمشي معهم على هذه التقاليد فقط، أنا ليس عندي إيمان بها، ولا أصدق بها)، نسأل الله العافية!

هذه يقولونها الآن، يصرحون بهذا.

الذي لا يصرح بالعداوة يجامل، ويقول: (أنا سأعيش مع الناس، وأمشي معهم، لن يضرني هذا)، يحسب أن المسألة تضيع هكذا؛ أنه عيش في هذه الدنيا، وليس وراءه شيء، نسأل الله العافية!



وَلَمْ تَمُتْ قَطُّ مِن نَفْسٍ وَمَا قُتِلَتْ مِنْ قَبْلِ إِكْمالِهَا الرِّزْقَ الَّذِي قُدِرَا
وَكُلُّ رُوحٍ رَسولُ المَوْتِ يَقْبِضُها بِـإِذْنِ مَـوْلاهُ إِذْ تَسْتَكْمِلُ العُمُرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمْ تَمُتْ قَطُّ مِن نَفْسٍ وَمَا قُتِلَتْ)، العمر الذي قدره الله لابد أن يستكمله الإنسان، فإذا تكامل عمره إما أن يُقتل، وإما أن يموت، هو كله هذا أجله، ليس له محيد عنه.

فالمقتول لا يقال: (إنه ضاع عليه عمره، وانقطعت عليه حياته)، هذا أجله، ليس له غير هذا، لو أن له ساعة في الدنيا، لم يُقتل.

فالمقتول والميت سواء، كلهم انتهى أجلهم المكتوب لهم؛ لأنه إذا بلغ أربعة أشهر في بطن أمه يأتيه الملكان، فيؤمران بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد[1]، من جملة ما يكتب عليه أجله، ولا يزاد فيه، ولا ينقص، إذا انتهى، إما أن يُقتل، وإما أن يموت حتفًا، هو ميت بأجله، مقتول بأجله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مِنْ قَبْلِ إِكْمالِهَا الرِّزْقَ الَّذِي قُدِرَا): الذي قدره الله لها من

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣): عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ...».

الرزق ومن الأجل؛ «لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا»[1]؛ كما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكُلُّ رُوحٍ رَسولُ المَوْتِ يَقْبِضُها... بِإِذْنِ مَوْلاهُ إِذْ تَسْتَكْمِلُ العُمُرَا)، إذا تم الأجل، أرسل الله لها ملك الموت؛ ليقبض روحها، وهو عزرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعه أعوان.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١]؛ يعني: الملائكة مع ملك الموت تقبض روحه، تجمعها من جسمه، ثم إذا وصلت إلى حلقه، تناولها عزرائيل، فأخذها، وقبضها.

هم يساعدونه على ذلك، يجمعون الروح من الجسم ومن العروق، فإذا تجمعت في الصدر، قبضها عزرائيل؛ ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١]، وفي آية الأنعام: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]، ففي آية يقول: إن الذي يقبض ملك الموت: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة:١١]، في سورة السجدة، وفي سورة الأنعام يقول: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١]، فما الجمع بين الآيتين؟

الجمع: أن الذي يقبض هو ملك الموت، ولكن هؤلاء يرسلهم الله معه يساعدونه على قبض الروح.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٨٣)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٦٨)، والحاكم (٢/ ٤)، وابن حبان (٨/ ٣٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٠٦)، وفي الكبرى (٥/ ٤٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٥٦) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مَسْؤُولٌ وَمُفْتَتَنٌ ... مِنْ حِينِ يُوضَعُ مَقْبُورًا لِيُخْتَبَرَا
وَأَنَّ أَرْوَاحَ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ فِي ... جَنَّاتِ عَدْنٍ كَطَيْرٍ يَعْلُقُ الشَّجَرَا
لَكِنَّمَا الشُّهَدَا أَحْيَا وَأَنْفُسُهُمْ ... فِي جَوْفِ طَيْرٍ حِسَانٍ تُعْجِبُ النَّظَرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مَسْؤُولٌ وَمُفْتَتَنٌ... مِنْ حِينِ يُوضَعُ مَقْبُورًا لِيُخْتَبَرَا) كما سبق فتنة القبر، وسؤال منكر ونكير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ أَرْوَاحَ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ فِي... جَنَّاتِ عَدْنٍ كَطَيْرٍ يَعْلُقُ الشَّجَرَا) الذي في القبر دائمًا هو الجسم، أما الروح، فهي تذهب، وتأتي، تتصل بالجسم، وهو في القبر، وتذهب وتأتي، فهي طليقة، الروح طليقة، بخلاف الجسم؛ فإنه محبوس في هذا القبر، والروح تأتيه أحيانًا، وتذهب أحيانًا، تذهب إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَكِنَّمَا الشُّهَدَا أَحْيَا وَأَنْفُسُهُمْ... فِي جَوْفِ طَيْرٍ حِسَانٍ تُعْجِبُ النَّظَرَا) والشهداء في سبيل الله لهم مزية وخاصية، تكون أرواحهم في أجواف طير، تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، تأكل من شجر الجنة، وتشرب من أنهارها، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، فهؤلاء الشهداء[1].

(١) أخرجه مسلم (١٢١) (١٨٨٧) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ =

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَكِنَّمَا الشُّهَدَا أَحْيَا وَأَنْفُسُهُمْ... فِي جَوْفِ طَيْرٍ حِسانٍ تُعْجِبُ النَّظَرَا)، (أَحْيَا)؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩]، ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١٥٤]، وهي حياة برزخية، ليست مثل حياتنا في الدنيا، فهم ماتوا من الدنيا، ونُقِلوا من الدنيا، تزوجت نساؤهم، وقسمت مواريثهم، عُومِلوا معاملة الأموات، وأما في القبر، فهم أحياء؛ ﴿ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾: عند ربهم ليس في الدنيا، ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩]، وفي الآية الأخرى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١٥٤]، لا تدرون، أنتم لو تحفرون، لم تجدوا شيئًا من هذا؛ لأنه في الغيب، هو في عالم الغيب، وأنتم في عالم الشهادة، أنتم في الدنيا، وهو في الآخرة، ولاترون ما هو فيه من عذاب أو نعيم.

=بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».

وَأَنَّـهَـا فِي جِـنَـانِ الْخُـلْـدِ سَارِحَةٌ ... مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِي تَجْنِي بِهَا الثَّمَرَا

وَأَنَّ أَرْوَاحَ مَـنْ يَـشْـقَـى مُعَذَّبَةٌ ... حَتَّى تَكُونَ مَعَ الْجُثْمَانِ فِي سَقَرَا

الشَّـرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّهَا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ سَارِحَةٌ... مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِي تَجْنِي بِهَا الثَّمَرَا)، هؤلاء الشهداء، أرواح الشهداء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ أَرْوَاحَ مَنْ يَشْقَى مُعَذَّبَةٌ... حَتَّى تَكُونَ مَعَ الْجُثْمَانِ فِي سَقَرَا)، العذاب في القبر يقع على الروح وعلى الجسد، ليس على الروح فقط، على الروح وعلى الجسد، والله قادر على أن يعذب الجسد المتحلل إلى تراب، يوصل إليه العذاب.

ثم أيضًا لو لم يقبر الميت؛ لو أكلته السباع أو الطيور أو في البحر، غرق في البحر، يأتيه النعيم أو العذاب وهو في القبر، فقبره هذا، قبره البحر، قبره جوف الطير، قبره جوف السباع هذا قبره، ويأتيه ما يختص به من نعيم القبر أو من عذابه، وهو في أي مكان.



فَصْلٌ فِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْجَزاءِ

الشَّرْح

من أركان الإيمان الستة: الإيمان باليوم الآخر، فمن أنكر الإيمان باليوم الآخر -يعني: من أنكر البعث-، فهو كافر؛ لأنه مكذب لله، ولرسوله، ولإجماع المسلمين.

كان المشركون ينكرون البعث، يقولون: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات:١٦-١٧]، ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ [ق:٣]، إلى آخر ما يقولون مما ذكره الله عنهم، ويظنون أن الله لا يقدر على بعثهم وإحيائهم من الموت.

وهذا جهل بقدرة الله جَلَّ وَعَلَا، وإنكار لما أخبر الله به؛ أنه يبعث الموتى، ويحيي الموتى، فكل من أنكر البعث، فهو كافر. وهذا مذهب المشركين والملاحدة، والله جَلَّ وَعَلَا رد عليهم شبههم بالبراهين القطعية، منها:

أن الذي قدر على بداءتهم وإحيائهم وإيجادهم من العدم قادر على أن يعيدهم من باب أولى، الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧]، الإعادة أهون من البداءة، هذا من باب ضرب المثل، وإلا الله جَلَّ وَعَلَا لا يعجزه شيء.

والله جَلَّوَعَلَا قادر على الإعادة؛ كما أنه قدر على البداءة من باب أولى؛ ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

من شبههم: أنهم يقولون: ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجاثية: ٢٥]، إن كنتم تؤمنون أن الله يبعث الأموات، فليأت بآبائنا الذين ماتوا، وننظر. يتحدون الله جَلَّوَعَلَا، وهذا من جهلهم.

والله جَلَّوَعَلَا قادر على أن يأتي بآبائهم، ولكنه أجل ذلك إلى أجل لا يخلفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا جاء الأجل، بعثهم الله جَلَّوَعَلَا.

ائتوا بآبائنا الأولين، ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٥ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الجاثية: ٢٥-٢٦]، الله لا يغير سبحانه، لا يغير مقاديره من أجل استعجالهم، بل هو قدر كل شيء في وقته، فإذا جاء وقته، فإن الله جَلَّوَعَلَا يفعله؛ كما يشاء.

والله ليس بعاجز على أن يأتي بآبائهم، وهم ينظرون إليه، لكن لم يأت وقت البعث؛ ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الجاثية: ٢٦]، ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾، ﴿ثُمَّ﴾، ثم: للترتيب والتراخي.

فهم يتحدون الله جَلَّوَعَلَا، ولكن الله حليم، لم يعاجلهم بعقوبة، بل هو يمهلهم؛ إما لأجل أن يتوبوا، وإما لأجل أن يستدرجهم، ويزيدوا من الكفر والإلحاد، فيشتد عذابه -نسأل الله العافية!

والله قادر على إحياء الموتى، ولو كانوا رميمًا، ولو كانوا ترابًا، فهو سبحانه قادر على أن يحييهم.

حديث الرجل الذي أوصى بنيه، فقال: «**فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا**»، ونفذوا وصيته، ثم إن الله جَلَّ وَعَلَا أمر الأجواء أن تجمع ما فيها من هذا الهباء الذي طار، واجتمع ما تفرق في الأجواء من حريق جسده، فأعاده الله كما كان، «**فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**»[(١)]، فالله عفا عنه بسبب جهله، الله عفا عنه؛ لأنه حمله على هذا خوف الله عَزَّوَجَلَّ، اجتهد في هذا، فالله عفا عنه سبحانه، تاب عليه، الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولكنه قدر الأشياء في مواقيتها؛ لا تتقدم عنها، ولا تتأخر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧) (٢٧٥٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**».

وَأَنَّ نَـفْـخَـةَ إِسْـرافِـيـلَ ثَانِيَةٌ ... فِي الصُّورِ حَقٌّ فَيَحْيَا كُلُّ مَنْ قُبِرَا

كَما بَدَا خَلْقَهُمْ رَبِّي يُعِيدُهُمُ ... سُبْحانَ مَنْ أَنْشَأَ الأَرْواحَ وَالصُّوَرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ نَفْخَةَ إِسْرافِيلَ)، إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الملك الموكل بالنفخ في الصُّور، الصُّور: قرن، يسمى القرن، وهذا القرن لا يعلم عظمه إلا الله؛ كما أن إسرافيل ملكٌ عظيم، لا يعلم عظمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا القرن جمع الله فيه أرواح الأموات في هذا القرن، فيأمر إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آخر الدنيا، فينفخ في الصور النفخة الأولى، فيموت كل من في الوجود، إلا من شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾: يعني مات.

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: ماتوا، لم يبق أحد إلا من شاء الله.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾: هذه نفخة البعث، الأولى: نفخة الصعق، والنفخة الثانية: نفخة البعث.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]: يقومون من قبورهم، ينظرون على خلقتهم، لا يختلف شيء من خلقتهم، حتى إن من كان يعرفهم في الدنيا، إذا رآه قال: هذا فلان وهذا فلان.

﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾: إذا نفخ إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصور النفخة الثانية، تطايرت الأرواح إلى أجسادها، ثم مشوا إلى المحشر، لا يتخلف منهم أحد؛ ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ ﴾: يعني إلى علم، مثل الجند يمشون خلف العلم.

﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [المعارج:٤٣-٤٤]، فإذا نفخ في الصور ثانية، يحيا كل من قُبِرَ.

لاحظ! تبعثر القبور، ويخرج الأموات، ويقفون، إلا أنه لا أرواح فيهم، ثم ينفخ إسرافيل، فتتطاير الأرواح إلى أجسادها، وتتحرك، وتحيا، وتسير إلى المحشر، لا يتخلف منهم أحد: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر:٧]، بقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهناك نفخة ثالثة قبل نفخة الصعق تسمى نفخة الفزع، في آخر سورة النمل: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل:٨٧]، هذه نفخة الفزع، ثم تعقبها نفخة الصعق، ثم نفخة البعث.

ومن العلماء من يقول: نفخة الفزع داخلة في نفخة الصعق، فهما نفختان فقط في سورة الزمر[1].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٤٤)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٢٤٠)، والبحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٢١).

وفريق من العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية يقولون: لا، النفخات ثلاث: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث؛ كما ذكر الله ذلك في القرآن الكريم[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَما بَدَا خَلْقَهُمْ رَبِّي يُعِيدُهُمُ... سُبْحانَ مَنْ أَنْشَأَ الأَرْوَاحَ وَالصُّوَرَا)**، الله أنشأ الأجسام، وأنشأ الأرواح التي تحل في الأجسام وتتحرك، وتمشي.



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٠، ١٦/ ٣٥)، والروح (ص٣٦)، ومعارج القبول (٢/ ٦٦٠، ٨٠٠).

حَتَّى إذَا مَا دَعَا لِلْجَمْعِ صارِخُهُ	وَكُلُّ مَيْتٍ مِنَ الأَمواتِ قَدْ نُشِرَا
قَالَ الإِلَـهُ قِفُوهُمْ لِلسُّؤالِ لِكَيْ	يَقْتَصَّ مَظلُومُهُمْ مِمَّنْ لَهُ قَهَرَا
فَيُوقَفُونَ أُلُوفًا مِنْ سِنِينَهُمُ	وَالشَّمْسُ دَانِيَةٌ وَالرَّشْحُ قَدْ كَثُرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَتَّى إِذَا مَا دَعَا لِلْجَمْعِ صارِخُهُ... وَكُلُّ مَيْتٍ مِنَ الأَمواتِ قَدْ نُشِرَا)، هذه حالة ثانية بعد البعث من القبور، وهو الحشر في مكان واحد في الساهرة: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات:١٣-١٤]، والساهرة من أرض الشام، وذلك أن الله جَلَّ وَعَلَا يدك الجبال والمرتفعات، فلا يبقى في الأرض جبل؛ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه:١٠٥-١٠٧]، فيجعلهم الله في هذا المكان: أول الخلق وآخر الخلق كلهم في هذا الصعيد، ويحصل زحام شديد، القدم عليه ألف قدم من الزحمة، وتدنو منهم الشمس، ويعرقون عرقًا شديدًا بحسب أعمالهم، يعرقون عرقًا شديدًا إلى حد أن بعضهم يلجمه العرق إلجامًا، خمسين ألف سنة في هذا المحشر، ثم ينصرفون منه إلى الحساب، ينصرفون من الموقف الطويل إلى الحساب.

أما أهل الإيمان، فإنهم في راحة وفي ظلال، لا يقاسون من هذا الحشر، ولا من هذا الحر، ولا من هذا العطش، هم في ظلال؛ ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٣]، تبشرهم، بينما يشتد الحشر على الكفار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَتَّى إِذَا مَا دَعَا لِلْجَمْعِ صارِخُهُ... وَكُلُّ مَيْتٍ مِنَ الأَمواتِ قَدْ نُشِرَا)؛ لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥].

ينادي منادٍ: أيتها الأجسام البالية، والشعور المتفرقة، واللحوم المتمزقة! إن الله يأمركم أن تجتمعوا للبعث والحشر، فيقوم كل من في القبور. دعوة واحدة لأهل القبور، فيقومون من قبورهم لرب العالمين؛ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: يأمر الملك فيدعوهم، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَيُوقَفُونَ أُلُوفًا مِنْ سِنِينَهُمُ... وَالشَّمْسُ دَانِيَةٌ وَالرَّشْحُ قَدْ كَثُرَا) خمسين ألف سنة؛ كما في القرآن الكريم؛ أنهم يوقفون في المحشر خمسين ألف سنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالرَّشْحُ قَدْ كَثُرَا)؛ العرق يعني.



وَجـاءَ رَبُّـكَ والأَمْـلاكُ قَاطِبَةً   لَهُمْ صُفوفٌ أَحاطَتْ بِالوَرَى زُمَرَا

الشَّرح

إذا تمت المدة التي قدرها الله لوقوفهم: خمسين ألف سنة، وأصابهم ما أصابهم، تقدموا إلى أبيهم آدم؛ يطلبون منه الشفاعة؛ أن يشفع لهم عند الله أن يريحهم من الموقف -إما إلى الجنة، وإما إلى النار-، فيعتذر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقول: اذهبوا إلى ابني نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فيذهبون إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيعتذر، ثم يأمرهم أن يذهبوا إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يذهبون إليه، فيعتذر، ثم يأمرهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يذهبوا إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يذهبون إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيعتذر، ثم يذهبون إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: «**أَنَا لَهَا**»، ثم يتقدم، فيسجد بين يدي ربه، ويدعوه، ويتضرع إليه، ويستمر على ذلك، حتى يقال له: «**يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[1]، فيشفع للخلائق أن يصرفهم الله من الموقف إلى الحساب، فيستجيب الله شفاعته.

وهذه الشفاعة خاصة بنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الشفاعة العظمى، والمقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ

(١) كما في حديث الشفاعة الذي ورد بعدة ألفاظ، منها: ما رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم [٣٢٢(١٩٣)]، و[٣٢٦(١٩٢)] بلفظ أتمّ، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم [٣٢٧(١٩٤)]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم [٣٠٢(١٨٣)]، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩]، هذا هو المقام المحمود والشفاعة العظمى، فيستجيب الله له.

ثم يأتي سبحانه، يأتي بنفسه، بذاته، ويجيء كما في القرآن؛ ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة:٢١٠].

يأتي سبحانه، ﴿ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، وتشرق الأرض بنور ربها، ثم يحاسب العباد، يحاسب العباد على أعمالهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَجاءَ رَبُّكَ والأَمْلاكُ قَاطِبَةً... هُمْ صُفوفٌ أَحاطَتْ بِالوَرَى زُمَرَا)**، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾: يعني الملائكة، ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة:٢١٠]، تأتي الملائكة بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتحيط بالخلق من جميع الجوانب.

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ﴾ [الرحمن:٣٣]: لا يستطيعون أن يهربوا ولا أن يخرجوا، الملائكة قد أحاطت بهم من جميع الجوانب.

وَجِـيءَ يَـومَئِذٍ بِـالنَّـارِ تَسْحَبُهَا   خُزَّانُهَا فَأهالَتْ كُلَّ مَنْ نَظَرَا
لَهَـا زَفِـيرٌ شَـدِيـدٌ مِـنْ تَغَيُّظِها   عَلى الْعُصاةِ وَتَرْمِي نَحوَهُمْ شَرَرَا

الشَرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَجِيءَ يَومَئِذٍ بِالنَّارِ تَسْحَبُهَا... خُزَّانُهَا فَأَهالَتْ كُلَّ مَنْ نَظَرَا)، ثم يؤتى بالنار، لها سبعون زمامًا، تقودها الملائكة[1]، وينظرون إليها عيانًا، فيؤتى بها؛ ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر:٢٣-٢٤]، تمنى أنه عمل عملًا صالحًا، لكن فات الأوان، التمني لا يكون إلا بالشيء المستحيل، أما الترجي، فإنه يكون بالشيء الممكن؛ ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾، حينئذٍ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف:٥٣]، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات:٣٦]، ليس لهم عنها محيص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَهَا زَفيرٌ شَديدٌ مِنْ تَغَيُّظِها)؛ لها زفير، لها أصوات، ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المرسلات:٣٢]؛ حينئذ يرتاع كل من كان عمله باطلًا، عمله سيئًا، يرتاع منها، أما أهل الإيمان، فإنهم في أمان منها.

﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾؛ يعني: النار -والعياذ بالله- ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:١٢]؛ كما في سورة الفرقان.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩) (٢٨٤٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا».

وَيُرْسِلُ اللهُ صُحْفَ الْخَلْقِ حَاوِيَةً   أَعْمالَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ جَلَّ أَوْ صَغُرَا

فَمَنْ تَلَقَّتْهُ بِاليُمْنَى صَحِيفَتُهُ   فَهْوَ السَّعِيدُ الَّذِي بِالْفَوْزِ قَدْ ظَفِرَا

وَمَنْ يَكُنْ بِالْيَدِ الْيُسْرَى تَنَاوُلُها   دَعا ثُبورًا وَلِلنِّيرانِ قَدْ حُشِرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيُرْسِلُ اللهُ صُحْفَ الخَلْقِ حَاوِيَةً... أَعْمالَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ جَلَّ أَوْ صَغُرَا) هذا موقف آخر، وهو إحضار الصحف -صحف الأعمال-، كل شيء مسجل في هذه الصحائف، وأنت الذي أمليتها في حياتك الدنيا، أنت الذي أمليتها.

فيعطى الناس صحائفهم: المؤمنون يأخذون صحائفهم بأيمانهم، والكفار والمشركون يأخذون صحائفهم بشمالهم؛ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:٧-٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩]، ينشره مفتخرًا به على الناس، يقول: (انظروا! انظروا كتابي)؛ من الفرح والسرور به، ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩-٢٠]؛ أي: أيقنت، ﴿ظَنَنتُ﴾ بمعنى أيقنت ﴿أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٠-٢٤].

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [الحاقة:٢٥-٣٠]، إلى آخر الآيات، هذا تطاير الصحف.

وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء:١٣]؛ يعني: عمله، ﴿ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾: عمله.

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:١٣-١٤]، يقرأ الكتاب هذا يوم القيامة من يقرأ ومن لا يقرأ؛ كلٌّ يقرأ كتابه، ولا ينكر منه شيئًا: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩].

وَوَزْنُ أَعْمَالِهِمْ حَقٌّ فَإِنْ ثَقُلَتْ ... بِالْخَيْرِ فَازَ وَإِنْ خَفَّتْ فَقَدْ خَسِرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَوَزْنُ أَعْمَالِهِمْ حَقٌّ)، هذه حالة ثالثة من أهوال يوم القيامة، وهي نصب الميزان.

بعد أن يتناولوا الصحائف، ويقرؤوها ينصب الميزان، وهو ميزان حقيقي، لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتوزن فيه أعمال العباد؛ توضع الحسنات في كفة، وتوضع السيئات في كفة: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: رجحت حسانته بسيئاته[1]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾:

(١) ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث، منها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٨) وصححه، وفيه: «يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وروى أحمد في المسند (٢/ ١٦٩، ١٧٠) نحوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد ورد ذكر الكفة في حديث البطاقة الذي رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٧)، والحاكم (١/ ٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد ورد ذكر اللسان مع الكفتين عند البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٦٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ، فَيُؤْتَى بِالْحَسَنَاتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتَثْقُلُ عَلَى السَّيِّئَاتِ. قَالَ: فَيُؤْخَذُ فَيُوضَعُ فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ مَنَازِلِهِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْمُؤْمِنِ الْحَقْ بِعَمَلِكَ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَعْرِفُ مَنَازِلَهُ بِعَمَلِهِ. قَالَ: وَيُؤْتَى بِالسَّيِّئَاتِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتَخِفُّ، وَالْبَاطِلُ خَفِيفٌ فَيُطْرَحُ فِي جَهَنَّمَ إِلَى مَنَازِلِهِ مِنْهَا وَيُقَالُ لَهُ: الْحَقْ بِعَمَلِكَ إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَيَأْتِي النَّارَ فَيَعْرِفُ مَنَازِلَهُ بِعَمَلِهِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ فِيهَا =

فرجحت سيئاته بحسناته؛ ﴿فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

موازين، توزن أعمالك فيها، هذا العدل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا تظلم شيئًا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنْ ثَقُلَتْ... بِالخَيْرِ فَازَ وَإِنْ خَفَّتْ فَقَدْ خَسِرَا)؛ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: النار يعني، ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٦-٩]؛ أي: النار مأواه.

وقيل: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: أم رأسه، فيهوي على أم رأسه -والعياذ بالله- يهوي على أم رأسه[1].

=مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَهُمْ أَعْرَفُ بِمَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِعَمَلِهِمْ مِنَ الْقَوْمِ فَيَنْصَرِفُونَ يَوْمَ الْجَمْعِ رَاجِعِينَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ».

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٥٩٦)، وزاد المسير (٤/٤٨٤)، وتفسير القرطبي (٢٠/١٦٧)، وتفسير ابن كثير (٨/٤٦٨).

وَأَنَّ بِالمِثْلِ تُجْزَى السَّيِّئَاتُ كَما ... يَكونُ فِي الْحَسَناتِ الضِّعْفُ قَدْ وَفُرا
وَكُلُّ ذَنْبٍ سِوَى الإِشْراكِ يَغْفِرُهُ ... رَبِّي لِمَنْ شا وَلَيْسَ الشِّرْكُ مُغْتَفَرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ بِالمِثْلِ تُجْزَى السَّيِّئَاتُ كَما... يَكونُ فِي الحَسَناتِ الضِّعْفُ قَدْ وَفُرَا) الجزاء يوم القيامة السيئة بمثلها؛ عدل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، السيئة بمثلها، لا يحمل عليه سيئات لم يعملها، فلا يحسب عليه شيء لم يعمله، ولا يضاعف عليه شيء، إنما كل سيئة بمثلها.

وأما الحسنات، فالحسنة بعشر أمثالها، يضاعفها الله؛ فضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا الله، هذا فضل من الله جَلَّ وَعَلَا.

أما جزاء السيئات، فهو عدل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى:٤٠]، ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾ [الأنعام:١٦٠]، لا يزاد عليه؛ ﴿ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾.

وأما من جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا الله؛ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٦٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكُلُّ ذَنْبٍ سِوَى الإِشْراكِ يَغْفِرُهُ... رَبِّي لِمَنْ شَا وَلَيْسَ الشِّرْكُ مُغْتَفَرَا) الذنوب هل تغفر أو لا تغفر؟

الذنوب هل يغفرها الله يوم القيامة إذا جاء الإنسان بذنوب؟ أما الشرك، فلا يغفره الله، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]، لا يغفره الله، وأما ما دون الشرك من الكبائر، فهي تحت المشيئة؛ إن شاء الله، غفر لصاحبها، وإن شاء عذبه بقدرها في النار، ثم يخرج من النار، ويدخل الجنة، ولا يخلد في النار إلا المشركون والكفار والمنافقون.

وأما الصغائر، فإن الله يكفرها باجتناب الكبائر؛ ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء:٣١]، ويكفرها الله جَلَّ وَعَلَا بالصلوات الخمس[1]، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود:١١٤]، ويكفرها الله بالمصائب التي تصيب الإنسان[2]، يكفر الله بها خطاياه، فالصغائر من الذنوب لها كفارات كثيرة، لها مكفرات كثيرة.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٣٣): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٥٧٢): عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً».

وَجَنَّةُ الْخُلْدِ لا تَفْنَى وَساكِنُهَا ... مُخَلَّدٌ لَيسَ يَخْشَى الْمَوْتَ وَالكِبَرَا

أَعَدَّها اللهُ دَارًا لِلْخُلُودِ لِمَنْ ... يَخْشَى الإِلَه وَلِلنَّعْماءِ قَدْ شَكَرَا

وَيَنْظُرُونَ إلى وَجْهِ الإِلَهِ بِها ... كَما يَرَى النَّاسُ شَمْسَ الظُّهْرِ وَالقَمَرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَجَنَّةُ الخُلْدِ لا تَفْنَى وَساكِنُهَا... مُخَلَّدٌ)، الجنة والنار لا تفنيان، ولا تبيدان، وأهلها مخلدون فيها؛ فأهل الجنة مخلدون في الجنة، لا يصيبهم الموت، ولا المرض ولا الآفات، ولا يهرمون مع طول بقائهم فيها، على سن واحد، لا يهرمون.

وأما أهل النار -والعياذ بالله-، فإنهم مخلدون فيها، وهي باقية، لا تفنى ولا تبيد، داران خلقهما الله للبقاء: الجنة والنار، وأهلها مخلدون فيها.

أهل الجنة لا يهرمون، ولا يمرضون، ولا يحزنون، ولا يجوعون؛ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه:١١٨-١١٩]، هذه الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مُخَلَّدٌ لَيسَ يَخْشَى المَـوْتَ)، لا يخشى الموت؛ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦]، التي ذاقوها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالكِبَرَا)، الهرم يعني، لا يهرم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَعَدَّها اللهُ دَارًا لِلْخُلُودِ لِمَنْ... يَخْشَى الإِلَهَ وَلِلنَّعْماءِ قَدْ شَكَرَا) أعد الله الجنة للمتقين؛ ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، خلقت لهم، هي دار لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيَنْظُرُونَ إِلى وَجْهِ الإِلَهِ بِها... كَما يَرَى النَّاسُ شَمْسَ الظُّهْرِ وَالقَمَرَا)، من أعظم نعيم أهل الجنة: النظر إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ينظرون إليه عيانًا بأبصارهم؛ كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب[١]، وكما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون أو لا يتضامون؛ يعني: لا يتزاحمون على رؤيته سبحانه؛ بل كل يراه وهو في مكانه، خلاف الأشياء في الدنيا؛ يتزاحم الناس على الأشياء التي ينظرون إليها، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فكل يراه، وهو مرتاح، ليس هناك زحام[٢].

وأما الكفار، فإنهم يحجبون عن الله، ولا يرونه؛ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، فالمؤمنون لما آمنوا به في الدنيا ولم يروه، جازاهم الله جَلَّ وَعَلَا بأن تجلى لهم يوم القيامة، فيرونه عيانًا بأبصارهم؛ لتقر أعينهم بذلك، وهذا أعظم نعيم يأتي عليهم في الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ».

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١) (٦٣٣) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]».

وأما الكفار، لما كفروا بالله في الدنيا، احتجب الله عنهم في الآخرة، فحرموا من رؤية الله عَزَّوَجَلَّ[1].

(١) قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّخْطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرِّضَا). انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٤)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٦١)، والبحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٢٩).

كَذَلِكَ النَّارُ لا تَفْنَى وَساكِنُها أَعَدَّهَا اللهُ مَوْلانا لِمَنْ كَفَرَا
وَلا يُخَلَّدُ فِيها مَنْ يُوَحِّدُهُ وَلَوْ بِسَفْكِ دَمِ الْمَعْصومِ قَدْ فَجَرَا
وَكَمْ يُنَجِّي إِلَهِي بِالشَّفاعَةِ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ عَاصٍ بِهَا سُجِرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَذَلِكَ النَّارُ لا تَفْنَى وَساكِنُها... أَعَدَّهَا اللهُ مَوْلانا لِمَنْ كَفَرَا)، ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

وهي باقية دائمة، مخلدون فيها، لا يرجون خروجًا منها أبدًا، إلا عصاة الموحدين الذين دخلوا، وهم يرجون الخروج منها، فيخرجون منها.

وأما الكافر والمشرك والمنافق النفاق الأكبر، فيخلد فيها أبد الآباد، ولا مطمع له في الخروج منها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلا يُخَلَّدُ فِيها مَنْ يُوَحِّدُهُ)، لا يخلد فيها الموحد العاصي الذي دخلها بمعصيته كبائر الذنوب دون الشرك؛ إذا شاء الله أن يدخلها، دخلها بقدر ذنوبه، ثم يخرج منها؛ إما بشفاعة الشافعين، وإما برحمة أرحم الراحمين، لكنه لا يخلد فيها بسبب إيمانه وتوحيده، لا يخلد فيها، وقد يشاء الله، فلا يدخلها أصلًا؛ تحت مشيئة الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَوْ بِسَفْكِ دَمِ المَعْصومِ قَدْ فَجَرَا)، ولو بقتل النفس التي حرم الله، فقتل النفس عمدًا عدوانًا هذه كبيرة من كبائر الذنوب، يدخل بها النار، قد يدخل بها النار، ويعذب، لكنه لا يخلد فيها؛ ﴿ وَمَن يَقْتُلْ

مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

﴿ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾: ليس معناه الخلود المؤبد، بل إنما طول البقاء فيها ما شاء الله، ولا يخلد فيها تخليدًا مؤبدًا، ولهذا لم يقل: (خالدًا فيها أبدًا)، إنما قال: ﴿ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾؛ يعني: يبقى فيها ما شاء الله.

ومعنى المعصوم، المعصوم: الذي عصم الله دمه، فالمؤمن عصم الله دمه: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا**»[(١)].

فالمؤمن معصوم الدم، ومن قتله، فعليه الوعيد الشديد، ومنه الخلود في النار، لكنه خلود ليس مؤبدًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَكَمْ يُنَجِّي إِلَهِي بِالشَّفاعَةِ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ عَاصٍ بِهَا سُجِرَا)**، عصاة الموحدين إذا دخلوا النار، يخرجون منها؛ إما بشفاعة الشافعين، وإما برحمة أرحم الراحمين؛ يقول: «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[(٢)]، ولا يخلد فيها إلا الكافر.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢، ٦٥٦٠)، ومسلم (٣٠٤) (١٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَصْلٌ فِي الْإِيمَانِ بِالْحَوضِ

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَصْلٌ فِي الْإِيمَانِ بِالحَوضِ)، ومما يكون في القيامة بعد البعث: الحوض المورود، حوض نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ترد عليه أمته، من شرب منه شربة، لم يظمأ بعدها أبدًا[1].

وهذا الحوض كما جاء وصفه بأنه طوله من صنعاء إلى أَيْلَةَ في الشام[2]، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وهو أشد حلاوة من العسل، كيزانه عدد نجوم السماء[3]، فهو حوض عظيم لهذا النبي الكريم، ترد عليه أمته، الذين تمسكوا بسنته، وعاشوا عليها، وماتوا عليها.

(١) تواترت الأحاديث في وصف حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيمن يرده من أمته ومن يُزاد عنه، رويت عن أكثر من خمسين صحابيًّا، انظر مجموع طرقها ومن رواها من الصحابة في فتح الباري (١١/ ٤٦٩)، وعمدة القاري (٢٣/ ١٣٦)، قال الحافظ ابن حجر: (وَلِكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ عَلَى الْحَدِيثِ الْوَاحِد كَأَبِي هُرَيْرَة وَأنس وبن عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَأَحَادِيثُهُمْ بَعْضُهَا فِي مُطْلَقِ ذِكْرِ الْحَوْضِ، وَفِي صِفَتِهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يُدْفَعُ عَنْهُ بَعْضُهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْمُصَنِّفُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَجُمْلَةُ طُرُقِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ طَرِيقًا، وَبَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَصَلَهَا إِلَى رِوَايَةِ ثَمَانِينَ صَحَابِيًّا) اهـ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، مسلم (٢٣٠٣).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٣٦) (٢٣٠٠)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا =

ويأتي أناس من أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريدون الشرب والـورود على الحوض، فيذادون عنه، ويمنعون منه، فيقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[1]، فهؤلاء كانوا من أمته، ثم ارتدوا -والعياذ بالله-، ارتدوا عن الإسلام، وخالفوا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيذادون عن الحوض.

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم ما حصل بعده، فيقول: «**سُحْقًا سُحْقًا**»؛ إذا قيل له: «**لَا تَدْرِي مَاذَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فيقول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ**».

ليس كل من انتسب إلى هذه الأمة، انتسب إلى سنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون على حق، مجرد الانتساب لا يكفي مع المخالفة في العمل، فلابد من تحقيق القول بالعمل، وأما من ينتسب بلسانه، ثم يخالف بأفعال، فهذا لا ينفعه الانتساب، ولا يجعله من أمة محمد يوم القيامة، فيعزل هؤلاء، ويطردون -والعياذ بالله!

فعلى المسلم أن يسأل الله الثبات على هذا الدين، والتمسك به على الوجه الصحيح؛ كما جاء عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لئلا يطرد في هذا الموقف العظيم، ويذاد عن حوض الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

=عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٥، ٦٥٧٦)، ومسلم (٣٢) (٢٢٩٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَأَنَّ لِلْمُصْطَفَى حَوْضًا مَسافتُهُ ... ما بَينَ صَنْعا وَبُصْرَى هَكَذَا ذُكِرَا
أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ الصَّافِي مَذاقَتُهُ ... وَأَنَّ كِيزانَهُ مِثْلُ النُّجومِ تُرَى
وَلَمْ يَـرِدْهُ سِوَى أَتْبـاعِ سُنَّتِهِ ... سِيماهُمُ أَنْ يُرَى التَّحْجِيلُ وَالغُرَرَا
وَكَمْ يُنَحَّى وَيُنْفَى كُلُّ مُبْتَدِعٍ ... عَنْ وِرْدِهِ وَرِجالٌ أَحْدَثُوا الْغِيَرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ لِلْمُصْطَفَى حَوْضًا مَسافتُهُ... ما بَينَ صَنْعا وَبُصْرَى هَكَذَا ذُكِرَا)، صنعاء في اليمن، وبُصرى في الشام، مسافة طويلة، فهذا حوض عظيم، طويل وعريض، ومملوء بالماء؛ فهو حوض عظيم، ولكن لا يرد عليه إلا من كان مسلمًا خالصًا، ويذاد عنه أهل الردة والمخالفة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كِيزانَهُ مِثْلُ النُّجومِ)، كيزانه عدد نجوم السماء[1]، الكيزان -وهي الكؤوس التي يُشرب بها من هذا الحوض- كثيرة؛ لأن الأمة كثيرة -ولله الحمد-، أمة هذا الرسول هي أكثر الأمم، وهو أكثر الأمم أتباعًا يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمْ يَرِدْهُ سِوَى أَتْباعِ سُنَّتِهِ)، لا يرده إلا أتباع سنته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (سِيماهُمُ أَنْ يُرَى التَّحْجِيلُ وَالغُرَرَا)، سيماهم التحجيل في أيديهم وأرجلهم، والغرر في وجوههم؛ بياض من آثار الوضوء، يردون غرًّا محجلين من آثار الوضوء، هذه صفتهم[2].

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، مسلم (٢٢٩٢).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٣٥) (٢٤٦) عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ، قَالَ: «رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ، فَتَوَضَّأَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ =

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَرِجالٌ أَحْدَثُوا الْغِيَرَا)؛ «إِنَّكَ لَا تَدرِي مَاذَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»، فيقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك: «سُحْقًا، سُحْقًا»: يعني بُعدًا، «لِمَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ»[(١)].

لهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»[(٢)].

فأصحاب البدع، وأصحاب الردة هؤلاء لا يردون الحوض على نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كانوا في هذه الدنيا ينتسبون ويتلبسون بالإسلام، ويدعون أنهم على الإسلام. فلابد يوم القيامة أن يفرق بينهم وبين المتمسكين بالإسلام على الحقيقة، فيزال الادعاء، ولم يبق إلا الحقيقة، فليحذر المؤمن أن يبدل وأن يغير؛ لئلا يكون ممن يطردون يوم القيامة عن هذا الحوض، الذي ترده هذه الأمة من أتباع المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

=يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ».

(١) سبق تخريجه (ص٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، والدارمي (٩٥ - البغا)، وابن حبان: (٥ - الإحسان) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَأَنَّ جِسْرًا عَلَى النِّيرانِ يَعْبُرُهُ بِسُرْعَةٍ مَنْ لِمِنْهاجِ الهُدَى عَبَرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ جِسْرًا عَلَى النِّيرانِ يَعْبُرُهُ... بِسُرْعَةٍ مَنْ لِمِنْهاجِ الْهُدَى عَبَرَا)، مما يكون يوم القيامة من الأهوال: الصراط المنصوب على متن جهنم، وهو القنطرة -الطريق- على متن جهنم، تمر عليه الأمة كلها، وهو أدق من الشعر، وأحر من الجمر، وأدق من السيف؛ لأنه مزلة أقدام، ولايعبره إلا أهل الإيمان الصادق.

فهذه محنة ثانية بعد الحوض، هناك محنة أخرى شديدة، وهي المرور على الصراط، تجري بهم أعمالهم، لا تجري بقوتك أو بآلة تجري بك، لا، لايمضيك على هذا الصراط إلا الأعمال الصالحة؛ تجري بهم أعمالهم؛ فمنهم من يمر كالبرق الخاطف -على حسب إيمانهم-، ومنهم من يمر كالريح، منهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا على قدميه، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يُخطف، فيلقى في جهنم(١)؛ لأن هذا الصراط عليه كلاليب موكلة بخطف من أمرت بخطفه، تخطفهم، وتلقيهم في جهنم، وهذا مذكور في قوله تعالى:

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩، ٧٥٦٣)، ومسلم (١٨٣)، وفيه: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا».

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٦٨-٧١]، وهو المرور على الصراط.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧١-٧٢]، فلا نجاة إلا للمتقين، المؤمنين، المتمسكين بهذا الدين العظيم تمسكًا صحيحًا عن اعتقاد، وعن يقين، وعن محبة وإخلاص، هؤلاء هم الذين ينجون يوم القيامة من هذا الصراط؛ لأن معهم من الأعمال الصالحة ما يحملهم عليه، ومن عداهم، فإنهم يسقطون في جهنم -نسأل الله العافية!

وَأَنَّ إيمـانَـنَـا شَـرْعًـا حَقيقَتُهُ قَصْدٌ وَقَـوْلٌ وَفِـعْـلٌ لِـلَّـذِي أُمِـرَا
وَأَنَّ مَعْصِيَةَ الـرَّحْمَنِ تُنْقِصُهُ كَمَا يَزِيدُ بِطاعَاتِ الَّذي شَكَرَا

الشَّـرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ إِيمَانَنَا شَرْعًا حَقِيقَتُهُ... قَصْدٌ وَقَوْلٌ وَفِعْلٌ لِلَّذِي أُمِرَا)، الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح[1]، فمن حقق هذا الإيمان، فإنه يعبر على هذا الصراط.

«قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح»، لا يكفي القول باللسان دون اعتقاد القلب، وهذه صفة المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١].

(١) وقد نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد من أهل العلم، فقد قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لقد طفت الأمصار، ولقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم كلهم يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٥٨، ٥٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٧، ٤٠٨)، وذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢١٧)، وابن حجر في الفتح (١/ ٤٧).
وقال أيضًا: (كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل)» اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/ ٨٨٩)، وذكره ابن حجر في الفتح (١/ ٤٧٩).
ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع عن الشافعي، انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٨).
وقال ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ٢٣٨): (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان) اهـ.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:٨-١٠]، هؤلاء المنافقون، يقولون بألسنتهم: (آمنا بالله).

ولا يكون الإيمان باعتقاد القلب دون نطق اللسان، لا يكون باعتقاد القلب وتصديق القلب دون نطق اللسان؛ لأن الكفار كلهم يعترفون بأن هذا الرسول هو رسول الله حقًّا، ولكن يمنعهم موانع؛ يمنعهم الحمية الجاهلية، يمنعهم الكبر، يمنعهم طمع الدنيا والمناصب، فلا ينطقون بألسنتهم، وإن كانوا يؤمنون بقلوبهم: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾، هم مقرون بقلوبهم، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣].

أبو طالب عم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مؤمنًا به في قلبه، مصدقًا له في قلبه، ولكنه أبى أن ينطق بلسانه ويصرح، ومات على ذلك، والذي حمله هو الحمية لدين آبائه، ولما حضرته الوفاة، جاءه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له: **«يَا عَمُّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»**، كان عنده رجلان من صناديد المشركين، فقالا له: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟!»، فأعاد عليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعادا، في النهاية قال: «هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»[(١)]،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤): عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، «أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ =

ومات، ولم يقل: «لا إله إلا الله»، ومات على الكفر -والعياذ بالله-، مع أنه معترف بقلبه أنه رسول الله، يقول هو[1]:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا

لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينًا

منعته الحمية لدين آبائه، ومات على الكفر، مع أنه مصدق بقلبه، يقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا

لم ينفعه ذلك الاعتراف بالقلب، فليس الإيمان بالقلب فقط، ثم ليس الإيمان باللسان والقلب بدون الأعمال -كما تقوله المرجئة[2]-، لابد من الأعمال؛ يقول بلسانه، ويعتقد بقلبه، ويعمل بجوارحه.

وأما إذا لم يعمل، وترك العمل من غير عذر، ترك الفرائض، ترك أركان الإسلام من غير عذر، فهذا ليس بمؤمن إلا عند المرجئة، الذين يقولون: (الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب)، وينفون أن العمل من الإيمان.

=كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ» فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣]. وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]».

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٥٦)، وسمط النجوم العوالي (١/ ٣٩٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٩٨).

(٢) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص ١٩٠).

بعضهم يقول: (مكمل للإيمان)، وبعضهم يقول: (إنه ليس بضروري)، هذا مذهب باطل بلا شك، الله جَلَّ وَعَلَا يقول في كثير من الآيات: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البينة:٧]، لم يكتف بقول: ﴿ءَامَنُواْ﴾، قال: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البينة:٧].

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً- أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً- أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، هذا النطق، «**وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»، هذ العمل، إماطة الأذى عمل، وهي من الإيمان، «**وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١)، الإيمان عمل قلبي، فدل هذا الحديث على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ كما في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]، ويقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤]، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٥٧) (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١]، هذه صفات المؤمنين، لم يكتف بأنهم آمنوا، بل جاء بصفاتهم وأعمالهم.

فالإيمان -كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «لَيسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ»(١).

وكذلك الإيمان يزيد بالطاعة؛ ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢]، ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، فهو يزيد، وينقص، حتى يكون مثل مثقال حبة خردل، «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ وَرَاءِ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(٢).

فدل على أنه ينقص حتى يكون بمقدار حبة الخردل.

وفي الحديث الصحيح: إن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»، دل على أن هذا إيمان ضعيف، ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران:١٦٧]، يضعف الإيمان حتى يصير قريبًا من الكفر.

فليس القول بأن الأعمال ليست من الإيمان قول أهل السنة والجماعة، وإنما هو قول المرجئة الضُّلال.

---

(١) انظر: الزهد والرقائق لابن المبارك (١/ ٥٤٥)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٠٥)، وغريب الحديث للخطابي (٣/ ١٠١)، وشعب الإيمان للبيهقي (١/ ١٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠) (٥٠) من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَنَّ إِيمَانَنَا شَرْعًا حَقِيقَتُهُ)**، هذا تعريف الإيمان شرعًا.

أما تعريف الإيمان في اللغة: الإيمان هو التصديق[١]، لكن الحقيقة الشرعية للإيمان: هي أنه قول واعتقاد وعمل، تسمى الحقيقة الشرعية؛ لأن الحقائق ثلاث: حقيقة لغوية، وحقيقة شرعية، وحقيقة عرفية[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَصْدٌ وَقَوْلٌ وَفِعْلٌ لِلَّذِي أُمِرَا)**، قصدٌ: هذا اعتقاد القلب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَنَّ مَعْصِيَةَ الرَّحْمَنِ تُنْقِصُهُ... كَمَا يَزِيدُ بِطاعَاتِ الَّذِي شَكَرَا)**، معصية الرحمن تنقص الإيمان؛ فهو ينقص بالمعاصي، ويزيد بالطاعات.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢١)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، ومختار الصحاح (ص١١)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٦٩). وانظر مبحث في معنى الإيمان في اللغة في: كتاب الإيمان الأوسط (ص٧٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان الكبير (ص٢٧٥ وما بعدها).

(٢) انظر: الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات (١/ ١١٢).

وَأَنَّ طاعَةُ أُولِي الأَمْرِ وَاجِبَةٌ مِنَ الهُداةِ نُجومِ العِلْمِ وَالأُمَرَا
إِلَّا إِذا أَمَرُوا يَوْمًا بِمَعْصِيَةٍ مِنَ المَعاصِي فَيُلْغَى أَمْرُهُمْ هَدَرَا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ طاعَةُ أُولِي الأَمْرِ وَاجِبَةٌ)، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩]، فقرن طاعة أولي الأمر مع طاعته وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: ﴿مِنكُمۡ﴾؛ يعني: من المسلمين، فما دام ولي الأمر مسلمًا، لم يخرج من الإسلام، يجب طاعته، وإن كان عاصيًا أو مفرطًا، مادام لم يصل إلى حد الكفر، فهو مسلم تجب طاعته؛ لأجل جمع الكلمة، ولأجل حقن الدماء، ولأجل توفير الأمن، إلى غير ذلك من المصالح، فتجب طاعة ولاة أمور المسلمين.

﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾: المراد بهم الأمراء والعلماء؛ فالأمراء من جهة السياسة والتدبير والأوامر، والعلماء من جهة الدين ومعرفة الأحكام الشرعية، فيطاعون فيما بينوه من الشريعة، لا يأتون بشيء من عندهم، يأتون بالشريعة، ويبينونها للناس، تجب طاعتهم فيما بينوه في شريعة الله عَزَّ وَجَلَّ.

فالأمراء يطاعون من ناحية السياسة والتنفيذ، والعلماء يطاعون من جهة البيان -بيان الأحكام الشرعية وتوضيحها للناس-، فهم من أولي الأمر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مِنَ الهُداةِ نُجومِ العِلْمِ وَالأُمَرَا)، نجوم العلم والأمراء يعني: هم ولاة الأمور، العلماء والأمراء ولاة الأمور؛ هؤلاء من ناحية الدين والعلم، وهؤلاء من ناحية السياسة والتنفيذ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِلَّا إذا أَمَرُوا يَوْمًا بِمَعْصِيَةٍ)، «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»[1]؛ كما قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[2]، لكن ليس معنى ذلك أن ولي الأمر إذا أمر بمخالفة أنه ينخلع من الولاية، بل لا يطاع في هذه المعصية فقط، ويطاع فيما عداها؛ لأن بعض أهل الضلال أو الجهال يأخذون من هذا أنه إذا أمر بمعصية، فإنه تنخلع ولايته، ولا طاعة له مطلقًا، لا، هذا ضلال، لكن لا يطاع في المعصية، ويطاع فيما عداها؛ لأن ولايته منعقدة، فلا تبطل ولايته بمعصية أمر بها، لكننا لا نطيعه فيها، ونطيعه فيما عداها مما لم يعصِ الله فيه.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٥٤٥)، والخلال في السنة (١/ ١١٣)، من حديث الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ورفعه الطبراني من طريق الحسن عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الكبير (١٨/ ١٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَأَنَّ أَفْضَلَ قَرْنٍ لِلَّذِينَ رَأَوْا نَبِيَّنَا وَبِهِمْ دِينُ الهُدَى نُصِرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ أَفْضَلَ قَرْنٍ لِلَّذِينَ رَأَوْا... نَبِيَّنَا وَبِهِمْ دِينُ الْهُدَى نُصِرَا)، أفضل قرون هذه الأمة هم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم تشرفوا برؤية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعلموا على يده، وجاهدوا معه، وصلوا خلفه، فهم أفضل قرون هذه الأمة.

تحملوا العلم عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحملوا القرآن والسنة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم أفضل قرون هذه الأمة -ولا يطعن فيهم إلا أهل الضلال وأهل الزيغ-، صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم من بعدهم: التابعون، وهم الذين عاصروا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتعلموا منهم، يقال لهم: التابعون، ثم من بعد التابعين: القرن الثالث أتباع التابعين، وكل ما قرب من قرن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو أفضل.

فأفضل القرون الذين أثنى عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[1]؛ يعني التابعين، «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»؛ من أتباع التابعين. قال الراوي: «لَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةً».

القرون المفضلة إلى المائة الرابعة، هؤلاء هم القرون المفضلة، وبعدهم حصل ما حصل من الفتن والشرور، وحصل ما حصل من التحريف والتغيير.

(١) أخرجه البخاري(٢٦٥٢)، ومسلم(٢٥٣٣).

ولكن الحق باق -ولله الحمد-، الحق باق، والسنة باقية إلى أن تقوم الساعة، وعليها طائفة لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»**[1].

لكن خير القرون هم القرون المفضلة، الذين فيهم العلم والإيمان والجهاد، ولم تظهر الفتن في وقتهم، كانت توجد فتن، لكن خفية ومقموعة، المبتدعة لم يظهروا في القرون المفضلة مع وجودهم، لكنهم مقموعون، فلما انتهت القرون المفضلة، ظهرت المبتدعة وأهل الضلال؛ لأن القمع قلَّ وضعف بعد القرون المفضلة.

---

(١) أخرجه بهذه الزيادة: أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨) عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **«وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تُعْبَدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»**. وأصله في مسلم (٢٨٨٩).

أَعْنِي الصَّحابَةَ رُهْبَانٌ بِلَيْلِهِمُ وَفِي النَّهارِ لَدَى الْهَيْجا لُيوثُ شَرَى
وَخَيْرُهُمْ مَنْ وَلِي مِنْهُمْ خِلافَتَهُ وَالسَّبْقُ فِي الْفَضْلِ لِلصِّدِّيقِ مَعْ عُمَرَا

الشَرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أَعْنِي الصَّحابَةَ رُهْبَانٌ بِلَيْلِهِمُ... وَفِي النَّهارِ لَدَى الهَيْجا لُيوثُ شَرَى)** في النهار يجاهدون في سبيل الله، ويحملون السيوف في المعركة؛ نصرة لهذا الدين، وفي الليل يتهجدون ويقرؤون القرآن، هذه صفتهم: رهبان بالليل، شجعان في سبيل الله في النهار، ليس عندهم فراغ؛ ليلهم تهجد وتلاوة، ونهارهم جهاد في سبيل الله، هؤلاء هم خير القرون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَخَيْرُهُمْ مَنْ وَلِي مِنْهُمْ خِلافَتَهُ... وَالسَّبْقُ فِي الْفَضْلِ لِلصِّدِّيقِ مَعْ عُمَرَا)**، خير الصحابة: الخلفاء الأربعة؛ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الخلفاء الراشدون، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أصحاب بدر، ثم أصحاب بيعة الرضوان، ثم الذين أسلموا قبل الفتح -قبل فتح مكة-، ثم الذين أسلموا بعد الفتح. كلهم صحابة، لكنهم يتفاضلون؛ بعضهم أفضل من بعض؛ لسابقته، وبجهاده، وبعلمه، يتفاضلون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والمهاجرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تركوا أموالهم وأوطانهم، وخرجوا بإيمانهم، فارين بدينهم إلى غير بلادهم لنصرة هذا الدين، ولأجل التمسك به، والفرار به من الفتن؛ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر:٨]، ثم ذكر الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾: المدينة يعني.

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]، هؤلاء هم الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم ذكر الذين يأتون من بعدهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠].

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾: من هذه الأمة؛ يترحمون عليهم، ويثنون عليهم، ويدعون لهم، ويترضون عنهم، ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم بغضًا لأحد منهم.

ولكن من يلعن صحابة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو يسب صحابة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر:١٠]، وهؤلاء يقولون: (اللهم العن صحابة رسول الله، اللهم العن صنمي قريش: أبا بكر وعمر)، هؤلاء -والعياذ بالله- يدَّعون أنهم مسلمون، وهذا موقفهم من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(١)، وهؤلاء يسبون صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسانٍ لَهُمْ وَكَذا	أَتْباعُ أَتْباعِهِمْ مِمَّنْ قَفا الأَثَرا
وَواجِبٌ ذِكْرُ كُلٍّ مِنْ صَحابَتِهِ	بِالْخَيْرِ وَالْكَفُّ عَمَّا بَيْنَهُمْ شَجَرا
فَلا تَخُضْ فِي حُروبٍ بَيْنَهُمْ وَقَعَتْ	عَنِ اجْتِهادٍ وَكُنْ إِنْ خُضْتَ مُعْتَذِرا
وَالاقْتِداءُ بِهِمْ فِي الدِّينِ مُفْتَرَضٌ	فَاقْتَدْ بِهِمْ وَاتْبَعِ الآثارَ والسُّوَرا

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسانٍ لَهُمْ)، التابعون لهم بإحسان، ليس بالدعوة فقط، ولكن بإحسان؛ معرفة بمذهبهم، وتمسكًا به، هذا الإحسان، فالإحسان هو: الإتقان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَذَا أَتْباعُ أَتْباعِهِمْ مِمَّنْ قَفا الأَثَرَا)؛ يعني: أتباع التابعين، القرون الأربعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَواجِبٌ ذِكْرُ كُلٍّ مِنْ صَحابَتِهِ... بِالخَيْرِ وَالْكَفُّ عَمَّا بَيْنَهُمْ شَجَرَا)، واجب الثناء عليهم، والدعاء لهم، والاستغفار والترضي عنهم، هذا من حقهم علينا.

ولا ندخل فيما حصل بينهم من الشجار والفتن؛ لأنهم معذرون؛ إما مجتهدون مصيبون، ولهم أجران، وإما مجتهدون مخطئون، ولهم أجر واحد.

ولهم من السوابق والفضائل ما يكفر ما يحصل من بعضهم من خطأ، مغمورة أخطائهم بفضائلهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، مغمورة جدًّا -إن وجدت-، وأكثرها

مكذوب، ما ذُكِرَ في التاريخ؛ إما مكذوب، وإما أنه واقع وهم فيه. فهم معذرون ما بين مجتهد مصيب، وما بين مجتهد مخطئ معذور باجتهاده.

ولهم من الفضائل، ولهم من السوابق، ولهم من الخير الذي قدموه ما يكفر ما يحصل من بعضهم -إن حصل- من خطأ بسيط -رضي الله عنهم وأرضاهم[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلا تَخُضْ فِي حُروبٍ بَيْنَهُمْ وَقَعَتْ... عَنِ اجْتِهادٍ وَكُنْ إِنْ خُضْتَ مُعْتَذِرَا)، أول شيء: لا تخض، ولا تدخل في هذا، كف عن هذا، وإذا دخلت، فاعتذر عنهم، واثنِ عليهم، والتمس لهم العذر، وهم معذرون عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لكن بعض الناس يقول: (هذا بحث تاريخي وبيان للحقائق)، ويدخل في صحابة رسول الله، ويذم من يذم، يتبع الأخبار الكاذبة التي دست عليهم، ويتتبعها، وينشرها، هذا ضلال -والعياذ بالله-، هذا ضلال.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مساويهم مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَايَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَلَهُمْ مِنْ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إنْ صَدَرَ حَتَّى إنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنْ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنْ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ). انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥).

إذا تكلمنا في خيار الأمة، فماذا بقي؟! إذا تكلمنا في خيار الأمة -صحابة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ماذا بقي لنا؟! هم الذين قادونا، وهم الذين نقتدي بهم، وهم الذين حملوا إلينا هذا العلم وهذا الخير، إذا طعنًا بهم، وتكلمنا فيهم، فماذا بقي للأمة، إذا طُعِن في قادتها وعلمائهم وصحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!!

فلا يجوز للإنسان أن يدخل في هذه الأمور، وإن مرت عليه، فيعتبرها من الخطأ المغفور، أو من الاجتهاد المصيب الذي له أجران.



وَتَـرْكُ ما أَحْدَثَهُ المُحْدِثونَ فَكَمْ ... ضَلالَةٍ تُبعت وَالدِّينُ قَدْ هُجِرَا

إنَّ الهُدَى ما هَدَى الهادِي إلَيْهِ وَمَا ... بِهِ الْكِتابُ كِتابَ اللهِ قَدْ أَمَرَا

فَلا مِراءَ وَما فِي الدِّينِ مِنْ جَدَلٍ ... وَهَلْ يُجادِلُ إلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرَا

فَهاكَ فِي مَذْهَبِ الأَسْلافِ قَافِيَةً ... نَظْمًا بَدِيعًا وَجِيزَ اللَّفْظِ مُخْتَصَرَا

يَحْوِي مُهِمَّاتِ بابٍ فِي العَقِيدَةِ مِنْ ... رِسالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدِ الَّذِي اشْتَهَرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَتَرْكُ ما أَحْدَثَهُ المُحْدِثونَ)؛ اترك ما أحدثه المحدثون بعد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ما أحدثوه في حق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وما أحدثوه في هذا الدين من البدع والضلالات، وارجع إلى الأصل الصافي، وهو كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعمل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين والقرون المفضلة، ارجع إلى هذا، واترك ما يحصل فيما بعد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَكَمْ ضَلالَةٍ تُبِعت وَالدِّينُ قَدْ هُجِرَا)؛ لأن الإنسان إذا تبع البدع، ترك السنة، وهذا شيء معلوم.

لا يمكن أبدًا أن يجمع بين سنة وبدعة، لا بد أن تخرج إحداهما الأخرى؛ إما أن يكون مبتدعًا، وإما أن يكون مستنًا بالسنة، ولا يجتمعان أبدًا.

يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، البدع كلها ضلالات، والذي يقول: (إن البدع تنقسم إلى قسمين: بدع حسنة، وبدع سيئة)، كذاب، مخالف لقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ الْهُدَى ما هَدَى الْهَادِي إِلَيْهِ وَمَا بِهِ الْكِتابُ كِتابَ اللهِ قَدْ أَمَرَا)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلا مِرَاءَ وَما فِي الدِّينِ مِنْ جَدَلٍ وَهَلْ يُجادِلُ إِلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرَا)، لا يجوز الجدال في الدين، والجدال في القرآن، والجدال في سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها حق، يجب التسليم لها والانقياد لها، لا يجوز الجدال فيها والمماراة فيها أبدًا، ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر:٤]: هذا كفر- والعياذ بالله-، الواجب التسليم والانقياد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَهاكَ): خلاصة المنظومة يعني.

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان يقولها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين يدي حاجته، أخرجها مسلم مختصرة من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٨٦٧)، ومن حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (٨٦٨)، ووردت مطولة ومختصرة من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وأبي داود في سننه (١٠٩٧)، والترمذي في سننه (١١٠٥)، والنسائي في الكبرى (١/ ٥٥٠)، (٣/ ٤٤٩)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح لها في جزء لطيف، طبعته دار الأضحى بالأردن.

وَالْحَـمْـدُ للهِ مَـوْلانَـا وَنَـسْـأَلُـهُ غُفْرانَ مَا قَلَّ مِنْ ذَنْبٍ وَمَا كَثُرَا

ثُـمَّ الصَّلاةُ عَلَى مَـنْ عَـمَّ بِعْثَتُهُ فَـأَنْـذَرَ الـثَّـقَـلَـيْنِ الْجِـنَّ وَالْبَشَرَا

وَدِيـنُـهُ نَـسَـخَ الأَدْيَـانَ أَجْمَعَها وَلَيْسَ يُنْسَخُ ما دامَ الصَّفَا وَحِرَا

مُحَـمَّـدٍ خَـيْرِ كُـلِّ الْعـالَمِينَ بِهِ خَتْمُ النَّبِيِّينَ وَالرُّسْلِ الْكِرامِ جَرَا

وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ يُوحَى إلى أَحَدٍ وَمَـنْ أَجـازَ فَـحَـلَّ قَـتْـلُـهُ هَـدَرَا

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ما نَاحَتْ عَلى فَنَنٍ وَرْقَـا وَمـا غَـرَّدَتْ قُمْـرِيَّةٌ سَحَرَا

الشَّرْح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدِينُهُ نَسَخَ الأَدْيانَ أَجْمَعَها)، دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسخ الأديان السابقة، وصرا الحكم لدين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَيْس يُنْسَخُ ما دامَ الصَّفَا وَحِرَا)، ما دام الصَّفَا وحِرَا: جبلان في مكة.

يجب على الجن والإنس والثقلين اتباعه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٥٨]، فلم يبق إلا دين محمد، لا أحد يتمسك بالأديان القديمة -دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو دين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ-؛ لأنها انتهى دورها، وجاء دور الدين الخاتم، وهو دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والأنبياء أوصوا باتباع محمد إذا بُعِثَ؛ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾: يعني محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ﴾، ماذا؟ ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:٨١-٨٢]: خارجون عن طاعة الله؛ لأن الفسق معناه: الخروج، خارجون عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن زعموا أنهم على دين النبي السابق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دين حق، لكنه انتهى ببعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَيْسَ يُنْسَخُ ما دامَ الصَّفَا وَحِرَا**)، لا ينسخ دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن تقوم الساعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**مُحَمَّدٍ خَيْرِ كُلِّ الْعالَمِينَ بِهِ خَتْمُ النَّبِيِّينَ وَالرُّسْلِ الْكِرامِ جَرَا**)، هو خاتم النبيين؛ كما في القرآن: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، هو آخر النبيين، ولا يأتي بعده نبي، فمن ادعى النبوة بعده، فهو كاذب، يجب تكذيبه، ومن صدقه، فهو كافر، من صدق المتنبئين بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كافر.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧)، والدارمي في سننه (٤٣٦)، وأبو يعلى (٤/ ١٠٢)، وعبدالرزاق في مصنفه (٦/ ١١٣)، وابن أبي شيبة (٢٦٤٢١)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٠٠) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٦) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، وأصل حديث ثوبان رواه مسلم (٢٨٨٩)، وليس فيه الشاهد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ يُوحَى إِلى أَحَـدِ)، انقطع الوحي بموته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتهى الأمر بأن الوحي تكامل، والشريعة تكاملت، وترك أمته على البيضاء؛ ليلها كنهارها[1]، فلا حاجة إلى بعثة نبي جديد، ولا حاجة إلى شريعة جديدة، تكفي نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتكفي شريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ أَجازَ فَحَلَّ قَتْلُهُ هَدَرَا)؛ يعني: من أجاز أن يبعث نبي بعد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه مرتد عن الإسلام، يجب قتله، ولذلك قاتل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ المتنبئين، قاتلوا مسيلمة، وقتلوه، والأسود العنسي قتله المسلمون في اليمن، ويجب قتل المدعي للنبوة.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد في المسند (٤/ ١٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦، ٢٧)، والطبراني في الكبير (٢١٩، ٢٤٢)، وفي مسند الشاميين (٣/ ١٧٢، ١٧٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٥)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ١١٦)، ولفظه: «لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلِهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا» من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فهرس المراجع

۞ الإبانة الكبرى لابن بطة، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

۞ إثبات صفة العلو، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، المحقق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ١

۞ الأسماء والصفات للبيهقي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢

۞ الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨

۞ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد أحمد بن الحسين البيهقي،تحقيق أحمد عصام الكاتب. دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

۞ الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

۞ الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، المؤلف: شمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي (المتوفى:

٨٧١هـ)، المحقق: عبد الكريم بن علي محمد بن النملة، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

- الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق أبي يحيى، محمود أبو سن. دار طيبة، الرياض.
- الإيمان الكبير، شيخ الإسلام ابن تيمية. المكتب الإسلامي.
- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤
- تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.
- تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد

معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٥م.
- التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشردار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤ وجزء للفهارس).

❁ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.

❁ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

❁ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

❁ التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.

❁ تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية، مصر.

❁ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط -

إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد).

- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: ١١.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١٦.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن

قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١

- زاد المسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- سمط النجوم العوالي، عبد الملك بن عبد الملك الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ.
- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ.
- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

- سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.
- سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.
- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، مطابع الأشراف، لاهور.

- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تحقيق محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح

محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

- العرش وما رُوِي فيه، المؤلف: أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي (المتوفى: ٢٩٧هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.
- العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ٥.
- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١.
- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: طبعته مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١.

۞ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

۞ الفردوس بمأثور الخطاب، المؤلف: شيرويه بن شهردار بن شيرو يه ابن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (المتوفى: ٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٥.

۞ الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

۞ فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

۞ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٢

۞ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٠

۞ لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥

۞ المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

۞ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

۞ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

۞ مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

۞ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب

العربي - بـيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢

- المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، عدد الأجزاء: ١.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- مسند أحمد بن حنبل ـ النسخة المحققة بإشراف شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ.
- مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ٤

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).
- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- معارج القبول، حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.
- المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة١٤٢٢هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا).
- الملل والنحل، للشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.
- موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٥م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، الناشر المكتبة العلمية، سنة النشر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بيروت، عدد الأجزاء ٥.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.



فهرس الموضوعات

تم بحمد الله